

الباب الثاني

بمآذج من المشكلات التي تبحثها العيادات

الفصل الخامس : الضعف العقلي

الفصل السادس : التأخر الدراسي

الفصل السابع : ذنوب الأحداث

obeikandi.com

الفصل الخامس

الضعف العقلي

فكرة عامة عن ضعف العقول

معنى الضعف العقلي :

ترد إلى العيادات النفسية من أن لآخر حالات يبدو فيها بوضوح وجلاء أن من غير الممكن علاجها ، لأن الشذوذ فيها يتناول التكوين العقلي العام الذي يلزم الحالة من بدء الحياة ، وتتضح آثاره في تعطيل النمو العقلي بدرجة كبيرة . ومن أمثلة ذلك حالة طفل بلغ سن الثامنة ومع ذلك لم يستطع الانخراط مع زملائه في روضة الأطفال أو المدرسة الأولية إطلاقاً رغم اهتمام والديه ورغبتهم في تعليمه . ولم يمكن تعليمه حتى مبادئ القراءة أو الكتابة رغم عرضه على الأطباء الذين لم يجدوا عنده أى نقص أو مرض جسمي .

ويعرف الضعف العقلي بأنه « حالة عدم اكتمال النمو العقلي بدرجة تجعل الشخص غير قادر على مواعمة نفسه للبيئة العادية وبحيث لا يستطيع الاحتفاظ ببقائه وحياته بين غيره بدون إشراف أو حماية أو رعاية خارجية على أن يكون ذلك ملازماً للشخص من بدء حياته الأولى » .

ويجب أن نؤكد هنا أن ضعف العقول ليسوا « مجانين » إذ أنهم لم يكونوا عاديين ثم مرضت عقولهم ، بل إنهم نشأوا في حالة ضعف طبيعي في القدرة العقلية العامة بحيث لا يمكن شفاؤهم ، وإن كان من الممكن أن تقدم لهم مساعدة كبيرة عن طريق وسائل التمرين وطرق التربية المناسبة لهم . فيصح

إذن أن تفرق بين حالات الاضعف العقل Dementia وهي الحالات التي تحدث في مرحلة ما من مراحل الحياة بعد أن كان العقل في حالة عادية ، وبين حالات القصور أو الضعف العقلي Amentia وهي الحالات التي لا يتم النمو العقلي فيها بدرجة كبيرة ويكون هذا البطء ملازما للشخص منذ الولادة أو قبلها ولا يمكن أن يتحسن .

ومن المهم أن نقرر أن الناس لم يخلقوا جميعا متساوين من حيث القدرة العقلية العامة أو الذكاء ، فكما أن هناك اختلافات فردية بينهم من حيث الصفات الجسمية كالطول والقوة العضلية والتكوين البيولوجي والمزاجي ، فكذلك نجد أن كمية العقل أو الذكاء تختلف من فرد إلى آخر في المجموعة البشرية ، فهناك العباقرة والموهوبون وهم قلة ومن أمثالهم نيوتن وموزارت ودارون ، وهناك العاديون في الذكاء أو المتوسطون وهم الذين يكونون الغالبية العظمى من الناس ، كما أن هناك درجات متفاوتة ممن وهبوا قسطا محدودا من الذكاء تصل في أحط درجاتها إلى من يطلق عليهم المعتوهون Idiots وهم قلة كذلك .

إذن فالفرق بين الموهوب والعادي وضعيف العقل فرق في الدرجة لا في النوع ، ولكن على أي أساس نحدد طبقات الذكاء أو الغباء أو الضعف العقلي؟ هناك اعتبارات كثيرة يمكن أن تحدد بمقتضاها هذه الطبقات المختلفة وبالأخص حالات الضعف العقلي ، ومن ذلك القابلية للتعلم والإفادة من التوجيه والإرشاد ثم نوع السلوك والتصرف الذي يبذره في حياة الشخص وعلاقاته الاجتماعية ؛ كما أن البحث العلمي قد ساعد على إيجاد اختبارات عقلية لقياس الذكاء يمكن بمقتضاها تقدير طبقة الذكاء التي ينتسب إليها الفرد .

الاهتمام بضعاف العقول :

وقد تطورت النظرة إلى ضعاف العقول بتقدم الزمن ، فقد كان الإغريق والرومان القدماء يعتبرون أن ضعاف العقول لا يستحقون الحياة ، ولذا كانوا يتركونهم ليموتوا ، بل كانوا في اسبرطة يلقونهم في الماء ليفرقوا . ولا تزال فكرة التخلص من الضعاف موجودة في بعض الحضارات المعاصرة ، إذ تعمد بعض الدول كألمانيا النازية إلى إعدام أمثال هؤلاء تمشيا مع نظرية البقاء للأصلح .

وفي العصور الوسطى كان ينظر إلى ضعاف العقول على أنهم أبناء للشياطين وكانت أحداث البلهاء والمعتوهين القاصرة غير المفهومة تترجم على أنها لغة يتفاهمون بها مع آبائهم وكان ينظر إليهم في أحيان أخرى على أنهم على صلة روحية بالخالق وأنهم من المقربين إلى الله أو من أوليائه الصالحين ، تلك النظرة التي لا تزال موجودة حتى الآن في بعض الشعوب التي يتفشى فيها الجهل وتنتشر فيها الخرافات ، ومما يساعد على انتشار مثل هذه الاعتقادات الخرافية عجز الأطباء عن علاج ضعاف العقول أو تحسين ذكائهم .

وقد بدأت أول محاولة علمية لدراسة ضعاف العقول بفرنسا عقب الثورة الفرنسية بمناسبة عشور بعض الصيادين في غابة أفيرون على طفل على الفطرة The Wild Boy of Aveyron تبين فيما بعد أنه ضعيف العقل . وقد اهتم بدراسته إيتارد Itard الذي كان طبيبا بمدرسة الصم في باريس في ذلك الوقت حوالي عام ١٧٩٨ ورغم أن إيتارد قد عجز عن تعليم هذا الطفل إلا أنه استطاع أن يشير الاهتمام بضعاف العقول وصفاتهم النفسية . وقد قام سيجوان Seguin تلميذ إيتارد بعمل بعض التجارب والاختبارات غير اللفظية للفهم مع هذا

الطفل مما أدى إلى تطور البحث في قياس الضعف العقلي ، ولا تزال لوحة
سجوان الشهيرة تستعمل حتى الآن في تقدير الذكاء . . .
وفي عام ١٨٣٧ أنشأ سجوان Seguin أول مدرسة لتعليم ضعاف العقول
في باريس . ثم انتشرت فكرة إنشاء مؤسسات لهذه الطائفة بالإفادة من
أساليب سجوان في تعليمهم فأنشئ بإنجلترا مؤسسة مشابهة في هاينجت
Highgate عام ١٨٤٩ ، وأنشأ إتمول Etmüller مؤسسة بمقاطعة ساكسوني
Saxony بألمانيا عام ١٨٤٤ ، كما أنشئت مؤسسة بنيويورك في عام ١٨٤٨
ودعى إليها سجوان نفسه للمساعدة في إنشائها .

وبالتدريج اهتمت الدول بوضع التشريعات والقوانين التي ترمي إلى
ضمان حماية ضعاف العقول ، والعمل على رعايتهم بحيث لا يكونون عبئًا ثقيلًا
على المجتمع ففي إنجلترا مثلاً وضع قانون المعتوهين Idiot Act في عام ١٨٨٦ ،
ولكن أول قانون شامل لطبقات الضعف العقلي وتميزها وضع في عام ١٩١٣
وأجريت عليه تعديلات متتالية أهمها قانون عام ١٩٢٧ وتعديل عام ١٩٣٨
كما أفردت لضعاف العقول مواد خاصة في قوانين التعليم كما نرى في قانون
التعليم الإنجليزي لعام ١٩٤٤ والتعديلات التي أدخلت عليه .

الصفات العامة لضعاف العقول :

يختلف النمو العقلي في ضعاف العقول عنه في العاديين من حيث :

- (١) تأخر النمو العام . (ب) عدم توافق أو انسجام القوى العقلية المختلفة .
- (٢) وقوف النمو ووصوله إلى نهايته في سن مبكرة . وتبدو هذه المظاهر في
الطفل الضعيف العقل منذ بداية حياته كأن يكون قليل الحركة وهو جنين
وأن تعوزه الدوافع التي ترمي إلى حفظ الذات بحيث لا تظهر عليه علام الخوف
أو الجوع بوضوح .

ومن الثابت أن ضعاف العقول يتأخرون عن المعتاد عادة في التنسین والنمو الحركی كالجلوس والمشي ، كما يتأخرون أيضا في النطق والكلام ، وفي تكوين عادات النظافة ، والاعتماد على أنفسهم في تناول الطعام أو ارتداء الملابس .

وغالبا ما يكون عندهم اضطراب في الطاقة المراجیة والوجدانية كأن تكون انفعالاتهم بطیئة الاستثارة ومشوبة بالوهن والضعف فيكونون متصفین بالتحول Apathetic أو تكون انفعالاتهم متقلبة بحيث يصعب عليهم التحكم في تنظيمها وتوجيهها فيكونون متصفین بعدم الثبات Unstable وهذا يسبب لهم مشكلات لا قبل لهم بها ولذا لا تنتظم حياتهم الخلقية والاجتماعية وينساقون بسهولة إلى التشرذم والإجرام .

ويبدو ضعفهم في نواحي القدرات العقلية المعرفية في عدم قدرتهم على الاستفادة من التعليم بالمدراس العادية ، وفي بطء فهمهم وضآلة أفكارهم وعدم ترابطها أو انسجامها ، وفي أخطائهم الواضحة في الإدراك والفهم والاستنتاج وعدم قدرتهم على تمييز الخطأ والصواب وعجزهم عن القيام بالأعمال التي تساعدهم على كسب عيشتهم وحاجتهم المستمرة إلى رعاية غيرهم لهم .

وغالبا ما يكونون قابلين للإيحاء والالتقياد لغيرهم بسهولة ولذا يستغلهم بعض الأشرار عادة في تنفيذ جرائمهم فيكونون لهم بمثابة مخالب القط ويعرضونهم لخطر وقوعهم في أيدي البوليس خصوصا وأنهم يقنعون بنصيب يسير من الغنائم . وهناك نوع من ضعاف العقول تتضح عنده قدرة عقلية في ناحية خاصة بشكل غير عادي رغم وجود صفات ضعاف العقول السابقة فيه كأن يكون ذا قدرة موسيقية فائقة أوله ذا كرة ممتازة بشكل غير عادي أو أن يكون رساما ماهرا أو غير ذلك . ويطلق على هؤلاء « المعتوهون العارفون » « Idiots , Savants » .

وقد ذات دراسات بيرت Burt ولويس Lewis على أن نسبة وجود ضعاف العقول في القرى تكاد تبلغ ضعف نسبتها في المدن . ويمكن تمثيل ذلك بسهولة على أساس هجرة الأذكىء إلى المدن وترسيب ضعاف العقول في القرى.

سراتب الضعف العقلي

يقسم ضعاف العقول عادة إلى طبقات حسب درجة الضعف العقلي التي تؤثر في سلوكهم الاجتماعي وقدرتهم على العمل والتعلم ، كما يقسمون أيضا إلى أنواع بحسب ما يتفصح فيهم من الصفات الجسمية والباثولوجية والإكلينيكية . وفيما يلي طبقات الضعف العقلي حسب التقسيم الأول :

المعتوهون Idiots :

وهم أخط طبقات الضعف العقلي ويعرفهم القانون الإنجليزي بأنهم « الأشخاص الذين يوجد عندهم ضعف عقلي بدرجة تجعلهم غير قادرين على حماية أنفسهم ضد الأخطار المادية البسيطة العادية » ويعرف بينيه Binet هذه الطائفة بأنهم أولئك الذين لا يستطيعون التفاهم مع غيرهم بالكلام إذا لم يكن هذا راجعا إلى إصابتهم بالصمم أو البكم أو إلى اضطراب أجهزة الكلام بل يكون عجزهم راجعا إلى نقص القدرة العقلية العامة ، فيكون كلامهم مكونا من مقاطع بسيطة وأصوات غير مفهومة ، ويكون فهمهم لما يقال لهم محدودا بحيث لا يصل إلى أكثر من تلبية الأوامر البسيطة . وطبيعي أن هؤلاء لا يمكنهم أن يتعلموا بالمدارس أو أن يقوموا بأي عمل مفيد بل إنهم يحتاجون لمن يرعاهم ويطعمهم ويعني بنظافتهم كالأطفال الصغار تماما . ويصل إدراكهم وفهمهم إلى درجة من الضعف تجعلهم لا يستطيعون أن يعرفوا الطريق إلى منازلهم إذا تركوا وحدهم .

وفي الولايات المتحدة يعرف المعتوهون بأنهم ضعاف العقول الذين لا يصل
عمرهم العقلي لأكثر من ثلاث سنوات مهما بلغ عمرهم الزمني ، أو أنهم من
تقل نسبة ذكائهم عن ٢٥ .

وتبلغ نسبة وجود هذه الطائفة في المجتمع ٠٦ و ٠٪ ، ومعظمهم من أعمار
صغيرة نظرا لوفاة أفراد هذه الطائفة بكثرة بالنسبة لباقي الطبقات .

وتقسم هذه الطائفة أحيانا إلى طبقتين وهما : العته الكلي Absolute
Idiocy والعته الجزئي Partial Idiocy وذلك بحسب درجة العته التي تبدو
فيما لديهم من دوافع المحافظة على الذات Self Preservation .

وقد لوحظ أن نسبة المعتوهين من الذكور تفوق نسبتهم بين الإناث
فقد وجد Lewis أن هناك ٤٠٠ في الألف من المعتوهين بين الذكور ويناظرهم
٢٩٠ في الألف من المعتوهات بين الإناث .

ويقال أن يكون الضعف العقلي في المعتوهين مصحوبا بضعف في
التكوين الجسمي وفي الحواس والتوافق الحركي وفي الإدراك والقدرة على
التمييز بين المدركات المختلفة ، ولا يستطيع المعتوهون توجيه طاقتهم حتى نحو
اللعب المقبول ولا يمكنهم الاستغناء عن رعاية غيرهم وحمايتهم إطلاقا .

ويمكن تصور أفراد هذه الطائفة من وصف الحالة الآتية : —

« بنت من نزيلات مؤسسة ضعاف العقول بانجلترا منذ طفولتها ، لم تكن
تستطيع إطعام أو إلباس نفسها أو فهم أي كلام يوجه إليها ، لم تظهر عندها
أية رغبة في الاستطلاع أو التقليد أو أية قدرة على الانتباه ، وكانت قادرة في
عادتها ودائما يسيل لعابها من فمها ؛ لم تكن تستطيع النطق ولسكنها كانت
تصدر أصواتا غريبة كنهيق الحخير في بعض الأحيان ، وكانت تنتابها نوبات
تعمل فيها أظافرها وأسنانها في المحيطين بها بدون تمييز بين زميلاتهن وبين

المرضات ، وكانت دائما مصدر قلقا كبيرا كثيرة ، وقد ظلت على هذا الحال حتى بلغ عمرها ٣٥ سنة حيث بدأت تنقلبها نوبات واضحة من الصرع Epilepsy ، وعند وفاتها تبين من تشريح المخ أن خلاياه كانت تختلف في تكوينها وترتيبها عن خلايا المخ في الأشخاص العاديين ، كما وجد أن حجم المخ نفسه كان أصغر من المعتاد .

البلياء : Imbeciles :

« وهم الأشخاص الذين يوجد عندهم ضعف عقلي وإن كان لا يصل إلى درجة العمه إلا أنه يكون ظاهرا لدرجة تجعلهم غير قادرين على رعاية أنفسهم أو مباشرة مصالحهم الخاصة أو أن يتعاملوا ذلك » ؛ ويعرفهم بينيه Binet بأنهم من لا يستطيعون التفاهم مع غيرهم بالتعبير اللغوي التحريري رغم إعطائهم الفرصة والوقت الكافي لتعلم الكتابة ، وهم وإن كانوا يستطيعون عد الأرقام الأولى إلا أنهم لا يستطيعون القيام بالعمليات الحسابية البسيطة ولكن عن طريق العناية الفردية يمكن تعليمهم قراءة وكتابة كلمات ذات حرفين أو ثلاثة وجمع وطرح الأرقام البسيطة ، وهم لا يستطيعون تقليد أي رسم هندسي أو إدراك جزء ناقص من صورة تعرض عليهم ، ولهذا لا يمكن تعليمهم بالمدارس العادية إطلاقا .

ومن الممكن تمرينهم على القيام ببعض الأعمال اليدوية الآلية التي لا يكون فيها أي تصرف أو تغيير في الحركات وإشراكهم في أعمال النظافة المنزلية وتعويدهم بعض العادات المفيدة لهم ، ولكنهم لا يمكنهم الاعتماد على أنفسهم في كسب عيشهم لعجزهم عن الإنتاج المادي الكافي لذلك ، ولعدم وجود فكرة واضحة في أذهانهم عما يجب أن يتدبروه من النفقات الضرورية لهم .

ويتميز البلهاء عن المتوهين بأنهم يستطيعون أن يتعودوا حماية أنفسهم من الأخطار المادية الخارجية كأن يتعدوا عن النار خوفاً من الحريق ، وعن الترع والأنهار خوفاً من الغرق ، وعن السيارات والقطارات خوفاً من الحوادث وهكذا . كما أن إدراكهم وفهمهم يصل إلى درجة يستطيعون بها الوصول إلى منازلهم وحدهم وإن كانوا يضلون الطريق بسهولة إذا ابتعدوا عن الشارع . وفي أمريكا يعرف البلهاء بأنهم ضعاف العقول الذين يقع عمرهم العقلي بين ٣ سنوات و٧ سنوات ، أو أنهم من تقع نسبة ذكائهم بين ٢٥-٥٠ تقريباً . وتبلغ نسبة وجود هذه الطائفة في المجتمع حوالي ١٩ ، ٪ ، ونسبة البلهاء من الذكور إلى البلهاء من الإناث كنسبة ٥ إلى ٤ تقريباً .

وبعض أفراد هذه الطائفة يبدو عليهم النمو الجسمي والمظاهر السادية بحيث يصطدم من لا يعرفهم بحقيقة كونهم ضعاف العقول ، ولكن البعض الآخر ممن يكون عندهم إصابات في المخ أو تشوهات جسمية يتميزون بسهولة ، وفي معظم الأحوال يبدو على أفراد هذه الطائفة وجوم الوجه والبسلة ويدرك ممن يعاشرهم أن تصرفاتهم وسلوكهم لا يمكن أن تصل إلى أكثر من سلوك الأطفال الذين يكونون أقل من نصف عمرهم .

ويمكن تصور هذه الطائفة من وصف الحالة الآتية :

«شباب في العشرين من عمره ، كان الطفل الأخير من سبعة إخوة ، مات ثلاثة منهم في الطفولة وواحد آخر ضعيف العقل أيضاً ، الوالد من نزلاء مستشفى الأمراض العقلية ، الوالدة عادية ولكن صحتها ضعيفة .

تأخر نموه في الطفولة فلم يستطع أن يقف بنفسه إلا في سن سنتين ، ولم يستطع المشي إلا في سن ٤ سنوات ، وكان عمره أكثر من خمس سنوات قبل أن يتكلم ، ولم يكن مجموع محصوله اللغوي يزيد عن ١٢ كلمة وهو في سن العشرين ،

لم يدخل أية مدرسة لأن المدارس رفضت قبولها ، بقي في المنزل حتى سن ١٥ سنة إلى أن أصبحت أمه غير قادرة على حكمه فدخل مستشفى الأمراض العقلية .

قصير بدين بارز التقاطيع كبير الأذنين يبدو على وجهه البله ، أسنانه غير منتظمة ، حركاته ثقيلة وغير متوافقة ، لا يبدو في حواسه أى ضعف ولكنه لا ينتبه أو يكثر لأى شىء لدرجة تجعل من يتحدث إليه يظن أنه أصم ، فهو يلتفت إذا سمع صوتا مفاجئا كصفارة مثلا ، يبدو أنه لا يهتم أين هو ، وليس عنده أية فكرة عن الوقت ومضيه ، ورغم كونه مسالما ولا يميل للإجرام إلا أنه ينتابه أحيانا نوبات نشاط حركى يصطدم فيها بمن يصادفه .

المأفونون Morons :

« وهم الأشخاص الذين يوجد عندهم ضعف عقلى وإن كان لا يصل إلى درجة البله إلا أنه يكون ظاهرا لدرجة تجعلهم يحتاجون لرعاية وإشراف وضبط لحماية أنفسهم أو حماية غيرهم منهم . أو في حالة الأطفال الذين يظهر أنهم غير قادرين — بسبب هذا الضعف — على الإفادة الصحيحة من التعليم بالمدارس العادية » .

ويعرفهم بينيه Binet بأنهم الأشخاص الذين يستطيعون التفاهم بالكلام أو الكتابة مع غيرهم ، ولكن يبدو فيهم تخلف ملحوظ في التحصيل وكسب المعرفة عن زملائهم من العاديين رغم وجودهم معهم في نفس الظروف . ولما كان هذا التخلف قد يرجع إلى أسباب كثيرة فإن من المفيد أن يعطى هؤلاء من الاختبارات العقابية ما يوضح أن تخلفهم يرجع إلى نقص في الذكاء الذى يبدو في العجز عن الفهم وعدم القدرة على تركيز الانتباه واستمراره وفي

عدم الاهتمام بما يسود على الشخص بالفائدة ، وعدم القدرة على تصميم خطة للسير في العمل .

ومثل هذه الطائفة لا يمكن أن تصل في التعليم بالمدارس المادية لأكثر من السنة الثانية الابتدائية رغم المحاولات التي يبذلها المدرسون في تقويتهم ، ولكن من الممكن تعليمهم في مدارس خاصة وعلى أيدي مدرسين فنيين ، العمليات الحسابية في القواعد الأربع في أبسط صورها وكذلك بعض الدراسات القائمة على الأعمال اليدوية والصناعات البسيطة .

وتتميز هذه الطائفة عن البلاء بالقابلية للتمرن على القيام بأعمال مفيدة لهم في كسب عيشتهم إذا وجدوا الإشراف المصحوب بالعطف والصبر والرغبة في مساعدتهم ، وطبيعي أن تكون هذه الأعمال من النوع الذي لا يحتاج إلى تصرف أو ابتكار أو تغيير في سير العمل .

وهم ينتجون إذا كانوا يعملون في جماعة أكثر مما لو كانوا يعملون في عزلة خصوصا إذا كانوا متزنين في حياتهم الانفعالية والخلقية . ولكن أصحاب المصانع يضيقون ذرعا بهذه الطائفة ولا يطبقون ضعفهم العقلي الذي يؤدي لكثرة أخطائهم ، ومن الممكن أن يقوم أفراد هذه الطائفة بأعمال الحمالين أو بأعمال النظافة وغيرها من الأعمال التي لا تحتاج إلى تحمل أي مسئولية .

ورغم قدرتهم على الكسب بما يكفي لمعيشتهم فهم محتاجون دائما إلى من يرسم لهم خطة الكسب والعمل ، وإلى من ينظم لهم ميزانيتهم ومباشرة مصالحهم الخاصة .

وفي أمريكا تعرف هذه الطائفة بأنهم ضعاف العقول الذين يقع عمرهم العقلي بين ٧ سنوات و ١٠ سنوات ، أو من تقع نسبة ذكائهم بين ٥٠ و ٧٠ تقريبا .

وتبلغ نسبة وجود هذه الطائفة بين أفراد المجتمع حوالي ٧٥٪ ونسبة الذكور منهم إلى الإناث كنسبة ٨ : ٧ .

وتظهر عند أفراد هذه الطائفة الصفات التي ذكرناها عند المعتوهين والبلهاء ولكن بدرجات أقل وضوحاً . ولذا يصعب أحياناً تمييزهم قبل الالتحاق بالمدارس ووضوح تأخرهم العقلي .

ويمكن تصور أفراد هذه الطائفة من وصف الحالة الآتية : —

« شاب في سن ٢٢ سنة يبدو عليه أنه أقل من ذلك بخمس سنوات ، التحق بمدرسة أولية وتركها وهو في الفرقة الثالثة بعد أن قضى بها ست سنوات ولكن تبين أنه كان ينقل من فرقة إلى أخرى بالنظر لكبر سنه وجسمه ، ولم يكن مستواه التحصيلي يزيد على مستوى الفرقة الثانية ، اشتغل عاملاً في إحدى المطابع مساعداً لأحد العمال بأن يحمل إليه الأوراق التي يطلبها وغير ذلك من الأعمال الآلية . وكان يعطى أجرته كلها لأمه التي كانت تندير أمره ، وتشتري له ملابسه إذا احتاج كما لو كان طفلاً صغيراً .

كان قانعاً سعيداً بعيشته ليس له أي مطمع ، أتيحت له فرصة صداقة إحدى البنات ولكن علاقته بها لم تتطور فهجرت وتزوجت بغيره ، كان يعرف القراءة والكتابة ولكن معلوماته العامة ضئيلة وسطحية ، لا يعرف عن الجغرافيا إلا أنها تتعلق بالبلاد والأنهار ، ولا عن التاريخ إلا أنه ما حدث من من قبل ، ولكنه لا يعرف أية معلومات تاريخية أو جغرافية » .

ضعاف الخلق Moral Defectives :

ويضيف القانون الإنجليزي لضعاف العقول طائفة أخرى وهم « الأشخاص الذين يوجد عندهم ضعف عقلي مصحوب بنزعات ملتوية أو ميول إجرامية ، والذين يحتاجون من أجل ذلك إلى رعاية وإشراف وضبط لحماية غيرهم منهم » .

وقد اهتم القانون بهذه الطائفة لئلا كيد أهمية السواك العام من النواحي الخلقية بدل قصره على النواحي العقلية المعرفية وحدها ، وتوجيه الانتباه لوحدة العقل وضمورة الفصل بين النواحي المعرفية والمزاجية خصوصا في حالات الضعف العقلي ، وقد يظن أن تميز هذه الطبقة كطائفة رابعة يحمل في طياته أن هؤلاء الأشخاص من مستوى عقلي أحسن من الطوائف السابقة ولكن هذا غير صحيح فهم فعلا ضعاف العقول ولسكنهم فوق ذلك يفتشون في توجيه طاقتهم العقلية وفي تربية قواهم العاطفية والمزاجية بحيث أصبحوا لا يستطيعون التحكم في أهوائهم وشهواتهم وبحيث يحتاجون لحماية غيرهم من عدوانهم وخطرهم .

ويلاحظ أن السواك الإجتماعي الشاذ لهذه الطائفة يتصف بالاستمرار رغم العقوبة أو النصح لأن من الصعب عليهم التمييز الخلقى أو فهم المعايير الاجتماعية أو التحكم في غرائزهم بما يلائم هذه المعايير .

وينزع بعض أفراد هذه الطائفة إلى عدم الانتظام في أي عمل أو في الذهاب للمدرسة ولذا يميلون إلى التشرذم والانحراف الجنسي وتغلب عليهم صفات التسرع والأنانية وعدم تقدير حقوق غيرهم أو مراعاة شعورهم ، ولا يفيد فيهم التأنيب أو العقاب لأنهم لا يحجلون من أي عمل إذ ليس عندهم أي احترام لأنفسهم . ولا يعبأون بالنظام أو السلطة الضابطة .

وتكثر أكاذيبهم وسرقاتهم وارتكابهم للذنوب الخلقية حتى مع أقاربهم وغالبا ما يتعرضون للإجرام والوقوع في أيدي العدالة لعدم قدرتهم على تدبير الخطط التي تساعد على التخلص .

ومن المستحيل إصلاح هؤلاء أو علاجهم لأن ضعفهم طبيعي ويرجع إلى نقص عقلي وهذا هو الذي يميزهم عن غيرهم ممن يقعون في أخطاء خلقية .

كما أن شدوذهم الخلقى يلازمهم منذ طفولتهم ولا يكون راجعا إلى أخطاء التربية أو المعاملة التي يلقاها الطفل في بيئته كما يحدث في بعض الحالات التي يتعرض لها بعض الماديين .

الأنواع الإكلينيكية لضعاف العقول

قلنا إن الضعف العقلي أمر يتعلق بنقص الذكاء أو القدرة المعرفية العامة ، وإذن فليس من الضروري أن يكون هناك تلازم بين ضعف الصحة أو نقص النمو الجسمي أو اضطراب الوظائف الفسيولوجية وبين الغباء أو الضعف العقلي ؛ غير أن هناك بعض الحالات التي تعرض للعيادات النفسية تكون متضمنة بمجموعة من الأعراض المتصلة بالنواحي الجسمية التشريحية والفسيولوجية بجانب نقص الذكاء ، وتكون هذه الأعراض الجسمية واضحة بدرجة كبيرة بحيث يمكن الاستعانة بها على تشخيص وتمييز هذه الحالات . ومن أمثلة الأنواع الشهيرة لضعاف العقول المرتبط بضعفهم العقلي بوصفات وغيوب جسمية مميزة ما يأتي : —

حالات صغر الجمجمة Microcephalic :

وهؤلاء يكون حجم الجمجمة عندهم صغيرا بدرجة ملحوظة رغم نمو الوجه بالحجم الطبيعي ، ويبدو ذلك واضحا في قلة ارتفاع قمة الرأس بحيث يكون البعد العمودي بينها وبين مستوى الأذنين قصيرا جدا ، وتكون النسبة الجسمية Cephalic Index عندهم — أي نسبة عرض الجمجمة إلى طولها — أقل من المعتاد بكثير حيث تصل إلى ٧٣ . أحيانا بينما هي حوالى ٧٨ . في العاديين . ولا يزيد محيط الجمجمة في تلك الطائفة من الشواذ عن ١٧ بوصة

بينما يكون حوالى ٢٢ بوصة في الماديين . ولهذا تبدو تقاطيع الوجه — في تلك الطائفة — كبيرة بمقارنتها بضيق الجبهة وقصر ارتفاع الجمجمة ، أما المخ فيكون صغيرا أيضا بحيث لا يزن أكثر من نصف كيلو جرام رغم نمو الشخص الجسمى التام أحيانا ، وقد يكون المخ سليما وخاليا من الماهات والإصابات مع صغر حجمه ، ولكن التعرجات الموجودة بالتشرة المخية تكون بسيطة وأقل عمقا عن المعتاد . هذا ويلاحظ أن صغر حجم الجمجمة يكون نتيجة — وليس سببا — لصغر حجم المخ ، ولذا لا يفيد العلاج في زيادة حجم المخ . أما جلد الرأس فيكون في الغالب غليظا و به تجاعيد وتقلصات تحدث نتيجة صغر عظام الجمجمة بالنسبة للجلد الذى يغطيها .

وقد يكون من بين أفراد هذه الطائفة من يكونون في صحة عامة جيدة ويكون نموهم العضلى عاديا ، إلا أن غالبيتهم يكون نموهم أقل من المعتاد وحركاتهم فى المشى بدائية وذات طابع خاص ، ومعظمهم يموتون فى سن مبكرة ولهذا تقدر نسبة هذه الطائفة بحوالى ٥ ٪ من ضعاف العقول الأقل من عشر سنوات ، ولكن نسبتهم تهبط إلى ٥.٠ ٪ بالنسبة لضعاف العقول من جميع الأعمار .

أما مستوهم العقلى فيختلف بحيث نجد بينهم المراتب المختلفة للضعف العقلى فمنهم المعتوهون والبلهاء والمورون ، وهم عادة محبون للتقليد الحركى ولسكنهم قليلاو الضرر عادة ، وبعضهم أميل إلى السرور والمرح والمسألة . وهناك تفسيرات كثيرة لأسباب صغر الجمجمة ، منها الارتداد أو النكوص الفطرى نحو جيل حيوانى سابق ، ومنها إصابات الجنين قبل الولادة نتيجة علاج الأم بالأشعة أو الصدمات الكهر بائية التى قد تؤثر فى تكوين الطفل ... ولكن معظم هذه التفسيرات ليس لها أسس علمية تجعل لها صفة الثبات .

حالات كبر الجمجمة : Hydrocephalic

وفيها يكون حجم الجمجمة أكبر كثيرا من المعتاد ، بسبب امتلائها بالسائل المخي ، وقد يكثر تجمع هذا السائل في الفجوات الساخلية بالمخ ، أو يكثر وجوده حول المخ من الخارج تحت عظام الجمجمة ، ويكون كبر حجم الرأس ملحوظا حيث تبرز الجبهة وتتكور الجمجمة فوق الوجه بشكل يجعل حملها يبدو ثقيلًا ، وقد يزيد محيط الجمجمة عن ٣٠ بوصة بينما يكون في المعتاد حوالي ٢٢ بوصة ، وعادة يتأخر التأم اليافوخين الأمامي والخلفي كثيرا مما يعرض المخ للأخطار ، كما أن جلد الرأس يبدو مشدودا بجدة على سطح الجمجمة نظرا لكبر مساحتها الخارجية بالنسبة للجلد .

وترجع أسباب هذه الحالات أحيانا إلى إصابات أو عاهات تشريحية بالمخ ، أو أمراض تصيب خلاياه وتعوق نمو أنسجته فيبقى ضامرا صغيرا ، ويمتلئ فراغ الجمجمة بالسائل المخي . وإذا كان السائل المخي يتزايد تجمععه بالتدريج فإن الحالة تزداد سوءاً ويموت الشخص بسرعة في هذه الحالات ، أما إذا وقفت زيادة السائل المخي عند حد معين فمن الممكن أن تكون الحالة أحسن حالا وأطول عمراً .

والمهم في جميع حالات كبر الجمجمة هذه أن يكون المخ نفسه صغيراً عن المعتاد ، وغالبا ما تتأثر بعض المناطق المخية من ضغط السائل المخي فتؤدي إلى اضطرابات حسية أو حركية ، ولهذا تسكثر في أفراد هذه الطائفة عاهات الحس والحركة كضعف السمع أو البصر، وحالات الشلل الحركي في الأطراف والتعرض لنوبات الصرع .

وغالبا ما يكون أفراد هذه الطائفة أميل إلى الطاعة والهدوء ، ولستهم يعجزون عن القيام بأي عمل يتطلب التوافق الحركي رغم توافر رغبتهم في القيام به.

حالات القزامة Cretinism :

وفيها يكون الشخص قصير القامة بدرجة ملحوظة وقد لا يصل طوله لأكثر من ٣ أقدام مهما كان عمره الزمني ، ويصحب ذلك ضعف عقلي عام يرجع إلى انعدام أو قلة إفراز الغدة الدرقية Thyroid Gland . ويتأخر نمو الأطفال من هذه الطائفة في النواحي المختلفة كالتسنين والجلوس والمشي والكلام ، فقد يتأخر المشي إلى سن خمس سنوات ، وقد يتأخر الكلام إلى سن الثامنة ، كما يتأخر إقفال اليافوخ الأمامي في الجمجمة بحيث يبقى مفتوحا حتى البلوغ أحيانا ، كما يتأخر النمو والنضوج الجنسي أيضا . ويتميز هؤلاء بجانب قصر القامة بأن يكون جلودهم جافا غليظا مصفرا ، وقد يكون مجعدا في بعض المواضع ، ويكون شعرهم خفيفا فلا يظهر منه إلا القليل في الحواجب وفروة الرأس ، وتكون درجة حرارة الجسم أقل من المعتاد كما يكون التنفس مضطربا وبصوت مسموع أحيانا ، وغالبا ما تسكون الشفتان غليظتين والفم مفتوحا والأنف أفطسا والعينان متباعدتين ، وهذه الصفات تجعل من السهل الخلط بينهم وبين طائفة ضعاف العقول من النوع المغولي ، ولكن حالات القزامة تتميز بالبطء في الاستجابات الحركية وبوجوم الوجه وعدم وضوح تعبيراته الانفعالية .

وهذه الحالات قابلة للتحسن إذا أمكن فيها التشخيص المبكر والمبادرة بإعطاء العلاج المكون من خلاصة إفرازات الغدة الدرقية ، خصوصا إذا كان الضعف العقلي نتيجة لقلة إفراز هذه الغدة وكان ذلك راجعا لأسباب مكتسبة ، أما إذا كان الضعف العقلي تكوينا وولادا Congenital فلا يفيد فيه العلاج رغم تحسن الأعراض الجسمية نتيجة نشاط الغدة الدرقية .

حالات النوع المغولي Mongolism :

وهي من أشهر أنواع الضعف العقلي التي اهتم بها الباحثون ، ومع أنها من أكثر الأنواع وضوحا في التشخيص إلا أنها من أكثرها غموضا في معرفة الأسباب التي تؤدي إلى حدوثها . ويوجد حوالي ٥٪ من نزلاء مؤسسات ضعاف العقول من هذا النوع الذي يتميز بالشبه الكبير بين أفراده وبين الجنس المغولي في الكثير من الصفات الجسمية الظاهرية . ومن هنا كانت التسمية التي ترجع إلى الدكتور لانجدن داون Langdon Down عام ١٨٦٦ . وبعض أوصاف هذه الطائفة يمكن ملاحظته عند بعض الأفراد العاديين ، غير أن وجود مجموعة أعراض منتظمة مع بعضها بحيث تحدث طابعا خاصا هو الذي يجعل تمييز ضعاف العقول من النوع المغولي أمرا ممكنا ، وأهم هذه الصفات هي الضعف العقلي المصحوب بالتأخر في النمو العام وقصر القامة ، وصغر حجم الرأس واستدارتها بحيث يقل بروز الجزء الخلفي منها ، ويتأخر موعد إقفال اليافوخ الأمامي إلى ما يقرب من سن الثامنة أحيانا ، وغالبا ما يكون المخ نفسه قليل النمو وتكون شقوقه واسعة وخلاياه العصبية غير تامة النمو ، أما الوجه فيشبه المغوليين من حيث شكل العينين وانحدار جفونها والثنيات التي توجد بها ، ومن حيث الأنف الأفطس وصغر الأذنين وغلظ الشفتين ، ويبدو اللسان أكبر من الحجم الطبيعي بحيث لا يقفل الفم عليه بسهولة ، ويكون عادة غليظا وبه شقوق واضحة ، ويكون الشعر جافا خاليا من التجاعيد ، أما الأيدي فيكون شكلها غير متناسق حيث تكون عريضة وطرية وتتجه الأصابع فيها في شكل دائري وتختلف الثنيات التي توجد عادة في راحة اليد حيث تكون معظمها خطوطا مستعرضة ، كما يكون الأصبع البنصر قصيرا ومنحنيا إلى الداخل وقد يكون مكونا من

عقلتين بدلاً من ثلاثة . أما الأرجل فتتكون مفرطحة القدمين وأحياناً يوجد شق واسع بين إبهام القدم والأصبع الجاور له ، وغالباً ما يكون كلالهم قليل الوضوح غير مفهوم إلا لمن يخالطهم .

وهم يولدون عادة بالحجم العادى ، ولكن نموهم يكون بطيئاً جداً بحيث لا يصل نموهم لأكثر من نمو شخص عادى فى سن عشر سنوات مهما كان عمرهم الزمنى ، ولهذا يسهل الخلط بينهم وبين الأقزام ، غير أن المفصل فى النوع المغولى تتكون حركتها غير مضبوطة lax joints ومن السهل تمييزهم بالصفات السابقة الذكر التى تجعلهم متشابهين تشابهاً عجبياً لدرجة أنهم يكونون أشبه بأفراد أسرة واحدة مهما اختلفت بيئاتهم وجنسياتهم .

وهذا التشابه الذى يجعل لهم طابعاً مميزاً يوحى بقوة أن السبب واحد فى جميع الحالات ، ولكن الآن لم يمكن الاهتداء إلى هذا السبب ، غير أن هناك بعض التكهينات عن الأسباب فبعضهم يقول إنها ترجع إلى ضعف صحة الأم واضطرابها العقلى والمزاجى الشديد أثناء الحمل ، وبعضهم يرجع السبب إلى عوامل أصلية فى تكوين البويضة قبل الإخصاب . . ولذا يطلق عليهم الأطفال الناقصى التكوين Unfinished children ، كما يرجع البعض الآخر هذه الحالات إلى نقص الفيتامينات ومواد التغذية أثناء نمو الجنين ، أو نقص هورمونات الغدد الصماء واضطراب إفرازاتها ، أو الشذوذ النفسى والعقلى فى الأبوين وإصابتهم بأمراض خطيرة وإدمانهم للمخدرات والمواد الكحولية إلى غير ذلك . ولكن هذه الأسباب المختلفة لا تفسر لنا تشابه الأعراض فى جميع الحالات .

هذا وقد وجد أن متوسط عمر الأمهات عند إنجاب الأطفال من هذا

الفرع حوالي ٣٧ سنة ، بينما متوسط عمر الأمهات في إنجاب الأطفال الماديين ٢٩ سنة ، ولكن ذلك لا يفيدنا كثيرا في معرفة السبب الحقيقي أيضا .

وأفراد هذه الطائفة من ضمايف العقول يتصفون بكثرة الحركة والميل للروح وحب التقليد والطرب من سماع الموسيقى ، كما أنهم عادة ظرفاء ومحبون للسرور .

أنواع إكلينيكية أخرى :

ويمكن أن يضاف إلى ما سبق أنواع أخرى كثيرة مثل : حالات الضعف العقلي المصحوب بقلّة إفراز الغدة النخامية Pituitary Gland في القشرة السنجالية منها والذي يؤدي إلى وضوح صفات الطفولة في الشخص Infantilism فيكون رخوا سمينا وجسمه مغطى بالدهن ، وقد لا يحدث عنده النضوج الجنسي . . . وهناك أيضا الحالات التي يلزم الضعف العقلي فيها حدوث نوبات الصرع Epilepsy ويكون عندهم صفات الخلق الصرعى كالأنانية وعدم الاكترات بالغير ، وفي هؤلاء تتدهور حالة الإدراك العقلي بالتدريج ويكون ذلك متمشيا مع مرات حدوث نوبات الصرع عندهم . . . وهناك أيضا حالات الضعف العقلي نتيجة الإصابة بمرض الزهري الولادي Congenital Syphilis الذي يؤثر في المخ والجهاز العصبي في بعض الأطفال الذين يولدون أحياء ، إذ أن معظم هذه الحالات تولد ميتة ولا تعيش طويلا . . . كما أن هناك حالات أخرى أساسها اضطراب في نمو خلايا المخ وتضخم بعض أجزائه بدرجة تؤثر في تنظيم الخلايا مما يؤدي إلى وجود الضعف العقلي Sclerotic Amentia الذي يسمى أحيانا Epiloia ، ويتبع ذلك عادة بعض أعراض جسمية ظاهرة كوجود علامات خاصة في الجلد . . . وهناك كذلك حالات الضعف العقلي المصحوب بالشلل Paralysis ، أو المصحوب بعاهاات الحواس كالصمم والعمى . .

كما أن هناك حالات للضعف العقلي تنتج من الإصابة بالحمى الحية الشوكية . .
وحالات أخرى تكون مصحوبة بالإصابة بالأمراض العقلية Psychoses . .
وغير ذلك من الحالات المتصلة بالإصابات التشريحية أو الاضطرابات الوظيفية
للجهاز العصبي .

أسباب الضعف العقلي

رأينا أن الضعف العقلي يبدو في وقوف أو عدم اكتمال النمو العقلي إلى
درجة متفاوت بين الغباء ، كما رأينا أنه يأخذ صوراً إكلينيكية مختلفة ؛
وإزاء هذا التنوع ينبغي في تشخيص الأسباب أن تبحث كل حالة على حدة
في ضوء ظروفها الخاصة .

ومن الممكن بوجه عام أن نقسم أسباب الضعف العقلي إلى ما يأتي : —

أولاً : عوامل وراثية Hereditary

وهي الأسباب التكوينية الأصلية الداخلية Endogenous التي ترجع
إلى عوامل طبيعية تؤثر في تكوين الخلايا ، وقد يحدث ذلك نتيجة التغيرات
التلقائية التي تطرأ في الجينات genes التي تحملها الكروموزومات
Chromosomes ، تلك التغيرات التي تعرف في علم الوراثة بالطفرة العاملة
Gene Mutation ، والتي ينشأ عنها وجود صفات جديدة بالنوع تنتقل من
جيل إلى جيل ، ويصح اختفاؤها في بعض الأجيال وعودة ظهورها في أجيال
أخرى . ويمكن أن تحدث هذه التغيرات في أجيال قديمة من الجدود ، أو في
الآباء القريبين ، ويكون تأثيرها فعالاً قبل حدوث عملية الإخصاب وتكوين
الزيجوت ، إذ أن ما يحدث بعد هذا الوقت يعتبر راجعاً لعوامل دخيلة Induced
أو مكتسبة من البيئة .

وقد اتفق على تسمية الضعف العقلي الذي يرجع إلى عوامل أصابية وراثية بالضعف العقلي الأول Primary Amentia ، وهو الذي يكون حوالي ٨٠٪ من حالات الضعف العقلي . ولا غرو في ذلك فالذكاء في أساسه قدرة فطرية لا تسكتسب بالتدبير ولا يمكن للبيئة أن تزيد في كمية ما يرثه الفرد منه وإن كان من الممكن لعوامل البيئة أن تؤثر في مدى الانتفاع به واستغلال القدر الموروث منه .

ويمكن التحقق من فعل العوامل الوراثية بدراسة التاريخ العائلي Family History لحالات ضعاف العقول ، حيث نجد أن بين آبائهم أو أجدادهم ، من قريب أو بعيد ، من يمكن اعتبارهم دليلا على وجود الاستعداد للضعف العقلي ، إذ يظهر عندهم نوع أو أكثر من أنواع الشذوذ العقلي الذي يتخذ صوراً مختلفة مثل الأمراض الذهانية كالبارانويا ، والأمراض العصائية النفسية كالهستيريا ، ومثل الصرع ، والسكريا ، والسلوك السيكو باتي ، وكذلك الغباء والضعف العقلي .

إذن فالذي يورث ليس الضعف العقلي نفسه وإنما الاستعداد للإصابة به أو بأى اضطراب عقلي آخر . كما أنه ليس من الضروري أن يورث الضعف العقلي بنفس الدرجة التي يوجد بها في الآباء ، فقد تتبع بيرت Burt أبناء حوالي ٥٠٠ حالة من ضعاف العقول فوجد أن ١٤٪ منهم فقط ضعاف العقول وأن ٣٣٪ منهم أغبياء ، كما وجد أن ٨٧٪ منهم جميعاً تقل نسبة ذكائهم عن ١٠٠ ، ومعنى ذلك أن أبناء ضعاف العقول قد يرثون درجات — من الضعف العقلي أو الغباء — مختلفة عن درجة الضعف العقلي في آبائهم .

وعلى الجملة يمكن القول بأن ضعاف العقول يأتون عادة في العائلات التي يكثر فيها عدد حالات الشذوذ العقلي بأنواعه المختلفة ، وأن الضعف العقلي

يوجد في آباء ضعاف العقول بنسبة تقدر بحوالى ١٠٪ فقط ، ولكنه يوجد بنسبة أعلا من ذلك كثيرا في أبنائهم حيث تصل إلى ٥٠٪ تقريبا حسب تقدير تردجولد Tredgold .

ثانيا : عوامل بيئية Environmental

وهى العوامل التى تحدث تأثيرها بعد عملية الإخصاب وتكوين الجنين ، سواء أكان ذلك فى بداية تكوينه أو فى أثناء مدة الحمل ، أو عند الوضع ، أو عقب الولادة .

ونظرا لأن تأثير هذه العوامل لا يمتد إلى إحداث تغيير أصلى فى جوهر الخلايا ، فإن الضعف العقلى الناتج بسببها يكون عرضيا ولا ينتقل للأجيال التالية . ولأجل هذا تعتبر هذه العوامل خارجية Exogenous ويعتبر الضعف العقلى المتسبب عنها من النوع الثانوى Secondary Amentia .

وقد تكون هذه العوامل ذات أثر كيمائى أو بكتريولوجى أو ميكانيكى كما يصح أن تكون عوامل جسمية أو نفسية أو اجتماعية . ومن الجائز أن تحدث بعض هذه العوامل فى حالات الضعف العقلى الورائى ، ولكن تأثيرها يعتبر إذ ذاك مصاحبا فقط للضعف العقلى الأصلى ، أما فى حالات الضعف العقلى الثانوى فلا يكون هناك أى أثر وراثى فى العائلة ، بل يكون من المحقق إرجاع الأسباب كلها إلى عوامل وظروف طارئة حديثة يتم حدوثها بعد تكوين الجنين .

ورغم ما يبدو لهذه العوامل من أهمية ، وما يميل إليه الكثيرون من آباء ضعاف العقول من إرجاع الضعف العقلى فى أبنائهم إليها حتى لا توصم عائلاتهم بوجود الاستعداد الورائى للضعف العقلى فيها ؛ فإن نسبة الحالات التى يرجع

الضعف العقلي فيها لهذه الأسباب الثانوية المكتسبة من البيئة لا تتجاوز ٢٠٪ من الحالات كلها . بل إن بعض هذه الحالات يحتمل وجود أسباب وراثية لها ولكن لم يمكن استقصاؤها . ويحسن أن نستعرض هذه العوامل المكتسبة مرتبة حسب وقت تأثيرها وحدوثها كما يلي : —

(أ) العوامل التي تحدث قبل الولادة Prenatal خصوصا إذا كانت في المرحلة الأولى من الحمل ، كما يحدث بسبب إعطاء الأم بعض العقاقير لغرض الإجهاض والتخلص من الجنين ، فلا تنجح المحاولة ولكن تخاف آثارا ضارة بتكوين الجنين قد تؤدي إلى وجود الضعف العقلي عنده . ويتبع هذه العوامل أيضا ما يتعرض له الجنين من الإصابة بالعدوى بمرض خطير يصيب الأم ، أو التأثر من وجود السموم والتكسينات التي تؤثر في جهازه العصبي ، وكذلك عدم اتزان إفرازات الغدد الصماء ونقص بعض هورموناتها . كما يصحح أن يتعرض الجنين للخطر نتيجة صدمة أو حادث يقع للأم أثناء الحمل بحيث يمتد هذا الخطر إلى الجهاز العصبي وخصوصا المخ ، ومن هذه العوامل أيضا ما قد يحدث للخلايا العصبية في مخ الجنين من إتلاف أو ضمور بسبب تأثير أشعة إكس التي قد تضطر الأم للعلاج بها أثناء الحمل . ويقال أيضا إن بعض الحالات التي يحدث الحمل فيها سفاحا أو يكون الآباء فيها سكارى بتأثير المواد المخدرة والكحولية وما يحيط ذلك من اضطرابات عقلية قد يؤدي إلى الإضرار بالجنين لدرجة تعرضه للضعف العقلي ، على أن كثيرا من العوامل السابقة تعتبر نادرة التأثير .

(ب) العوامل التي تحدث أثناء عملية الولادة Intranatal ، وهي التي تحدث في حالات الوضع الغير طبيعي Abnormal Birth ، كما في الحالات التي تطول فيها مدة الوضع لصعوبته وما يحدث من جراء ذلك من التهابات

أو تشوهات في المخ نفسه ، والحالات التي يحدث فيها اختناق الجنين عقب ولادته Asphyxia لمدة طويلة بسبب تأخر عمل الإسعافات اللازمة لحدوث التنفس ، مما يؤدي إلى انحصار إلى انحصار بعض الخلايا العصبية نتيجة عدم وصول الأكسجين اللازم لحياتها ، وقد تحدث إصابة المخ أو جرحه نتيجة استعمال الآلات في الولادة العسرة . . على أن الحالات السابقة لا تحدث الضعف العقلي إلا في أحوال نادرة جدا أيضا .

(ح) العوامل التي تحدث بعد الولادة Postnatal وهي التي تنسب عن الظروف الصحية والنفسية والاجتماعية الغير ملائمة التي تؤثر في حياة المولود وتعرضه للإصابة بضعف العقل ، وفي هذه الحالات يفترض دائما أن ذكاء الطفل كان عاديا ولكنه تأثر بفعول هذه العوامل لدرجة تؤثر في إيقاف النمو العقلي أو إبطائه بما يجعل الطفل في مصاف ضفاف العقول . وقد أدخل القانون الإنجليزي هذه الطائفة في تحديده لمعنى الضعف العقلي كما يتبين من النص الآتي : -

« الضعف العقلي يعني حالات وقوف أو عدم اكتمال النمو العقلي ، الذي يوجد في الفرد قبل سن ١٨ سنة ، سواء أكان ذلك ناتجا من أسباب أصلية ذاتية أم أسباب دخيلة بالمرض أو الإصابة » .

فمن المعروف أن سن الثامنة عشر هو الموعد الطبيعي الذي ينتهي عنده نمو الذكاء الفطري ، فأى وقوف لنمو الذكاء قبل ذلك يعتبر أمرا غير طبيعي . ومن أمثلة الحالات التي يحدث فيها هذا النوع من الضعف العقلي حالات الحوادث والإصابات المباشرة للمخ والتي يؤدي بعضها لحدوث الشلل وبعضها الآخر لحدوث أمراض عصبية أخرى كما يؤدي بعضها أحيانا لحالات الضعف العقلي .

وهناك أيضا حالات اضطرابات الندد الصاء ونقص إفرازاتها كما سبق شرحه في حالة التريانية Cretinism التي ترجع لقلة إفراز الغدة الدرقية ، وكذلك حالات اضطراب الغدة النخامية .

كما أن هناك من الأمراض العقلية ما يكون لها تأثير مباشر على الذكاء والقدرة العقلية العامة بحيث تؤدي إلى الاضمحلال العقلي ووقوف نمو الذكاء . هذا وغنى عن الذكر أن عوامل الفقر وضعف الصحة العامة وغير ذلك من العوامل الاجتماعية لا يصل تأثيرها وحدها إلى إحداث حالات الضعف العقلي .

واجبنا نحو ضعاف العقول

رأينا فيما تقدم أن ضعاف العقول يعيشون حالة على غيرهم ، ويسببون كثيرا من الضيق والقلق والانشغال لذويهم ، نظرا لعدم قدرتهم على حماية أنفسهم من الأخطار ؛ كما أنهم أيضا مصدر خطر على غيرهم من أفراد المجتمع وأكثر عرضة للانحراف وارتكاب الجرائم ، فكثيرا ما يستغلهم بعض الأشرار في تنفيذ جرائمهم . وفوق ذلك فهم يكونون نسبة كبيرة من المتشردين والمتسولين ونزلاء السجون ويعتبرون عنصرا هداما في المجتمع .

وإذا صح تقدير نسبة وجودهم في المجتمع بحوالي ١٪ فمعنى ذلك أن لدينا في مصر حوالي ٢٠٠ ألف من هؤلاء يشتركون في توجيه حياة المجتمع بحكم حقهم في إعطاء أصواتهم في الانتخاب وحقهم في التزاوج والتساوي مع غيرهم في الحقوق والواجبات . وهم لمعجزهم عن التحكم في نزعاتهم ودوافعهم الغريزية ولعدم تقديرهم للمسئولية أو فهمهم للتقاليد أو إدراكهم للمعاني المقصودة من تحديد النسل مثلا ، يتزاوجون ويشكاثون بسرعة وبدون ضابط بحيث نجد أن تساهم أكثر نسبيا من العاديين ، بل إن غالبيتهم يلجأون

إلى التناسل النير الشرعي ، ولهذا ينتشر بينهم البهائم ، ويقتربون مصدرًا خطيرا للأطفال اللقطاء الغير الشرعيين ، ومرتبًا خصيصًا للأمراض الجنسية التي يكثر انتشارها عن طريقهم .

ويبدو أن الطبيعة نفسها قد زودتهم بهذه القدرة على كثرة التناسل شأن كل مخلوق ضعيف ، فمن الثابت أن نسبة الوفيات في ضعاف العقول كبيرة وأنهم لا يمرون طويلا ، ولكن كلما زاد الخطر على حياة نوع من الكائنات كلما ازدادت قدرته على التناسل لكيلا ينقرض . وإذن فليس من السهل مقاومة الطبيعة بالعمل على إبادتهم ، ولكن من الممكن تنظيم حياتهم بما لا يتعارض مع صالحهم وصالح المجتمع . فإذا أضفنا إلى ذلك أن ضعاف العقول لا يمكن جعلهم عاديين في الذكاء بأي علاج ، ولكن من الممكن أن نساعدهم كثيرا على التوفيق والنوامة بينهم وبين المجتمع بحيث تقلل من أخطارهم ، فإننا ندرك أهمية واجب الحكومة إزاء هذه الطائفة .

وقد سبقتنا الدول الناهضة في هذه الناحية وسارت فيها قدما ، فوضعت الواجبات في صورة تشريعات وقوانين مفصلة تقوم بتنفيذها هيئات مسئولة . ويمكن تلخيص ما يجب عمله إزاء ضعاف العقول فيما يأتي : —

أولا : التشخيص المبكر Early Ascertainment

إذا ظهرت بوادر الضعف العقلي في طفل ما قبل سن الدراسة ، فيجب على الآباء والأمهات أن يسرعوا بتحويله إلى العيادة النفسية أو الهيئة المسؤولة عن هذه الناحية الاجتماعية للتأكد من وجود الضعف العقلي أو عدمه . والآن وقد أصبح التعليم مباحا بل وإجباريا للجميع فإن عددا كبيرا من ضعاف العقول يمكن معرفتهم وتمييزهم عن طريق المدارس الأولية أو رياض الأطفال ،

وينبغي على النظائر والمدرسين أن يقوموا بتبليغ الإدارات التعليمية عن هذه الحالات لتحويلها بدورها إلى العيادات النفسية الطبية التسليلية التي تقوم بإجراء اللازم للتثبت من وجود الضعف العقلي أو عدمه . على أنه يجب على المدرسين ألا يخلطوا بين الضعف العقلي والتأخر الدراسي ، فقد يكون التلميذ متأخرا دراسيا لأسباب أخرى غير ضعف الذكاء . ومما يساعد على تمييز الضعف العقلي أنه يكون موجودا في الطفل منذ ولادته في جميع الحالات تقريبا ، وأنه يبدو في عجز الطفل عن التصرف بصفة عامة بحيث يكون تأخره الناتج من الضعف العقلي عاما في جميع الدروس وليس مجرد تأخر في ناحية خاصة ، كما يكون شذوذ الطفل باديا في النواحي المعرفية والإدراكية على الأخص إذ ليس الاضطراب الوجداني أو المزاجي دليلا كافيا على الضعف العقلي .

ويستعين المختصون في العيادة النفسية على تشخيص الضعف العقلي بما سبق تفصيله عن الصفات العامة لضعاف العقول ومميزات كل نوع وكل درجة منه ، ولهذا تلجأ العيادة إلى ما يأتي : —

- (١) ما يجمعه المختص الاجتماعي عن تاريخ العائلة .
- (٢) ما يجمع عن تاريخ حياة الطفل نفسه .
- (٣) التشخيص الطبي والسيكياتري .
- (٤) مقارنة تصرفات الطفل موضع البحث بتصرفات الأطفال العاديين ، خصوصا في الحالات التي يكون العمر العقلي فيها أقل من ٣ سنوات بحيث يتعذر إجراء الاختبارات العقابية على الطفل . ويستعان في هذه المقارنات بالجدول المعياري لتطور نمو الطفل العادي كتلك التي وضعها جنز Gesell أو التي وضعها تردجولد Tredgold خصيصا لتشخيص حالات الضعف العقلي .

(٥) إجراء اختبارات الذكاء المقننة Standardised وأهمها مقياس بينيه Binet الذي يعتمد على التعبير اللفظي ، وهناك اختبارات أخرى تصلح للتطبيق على من يعوقهم التعبير بالكلام مثل اختبارات القلم والورقة Pencil-Paper Tests كاختبار متاهات بورتيموس واختبار رسم الرجل ، كما توجد أيضا مجموعة كبيرة من اختبارات التأدية الحسية Performance Tests كلوحات الأشكال ومجموعة اختبارات كلتر ودريفر Collins & Drever واختبارات الكسندر Alexander وغيرها .

ويمكن للعيادة النفسية — أو الهيئة التي يصحح أن تعهد إليها الحكومة بمهمة التأكد من تشخيص الضعف العقلي — في ضوء ما سبق أن تقرر وجود الضعف العقلي أو عدمه ، وأن تقدر درجة الضعف العقلي ونوعه إذا أمكن بحيث يعتمد على تقديرها في التصرف إزاء الحالة .

ثانيا : الوضع تحت الإشراف Supervision

فإذا ثبت وجود الضعف العقلي وجب تحويل الحالات إلى جهات يضمن لهم فيها التربية والتمرين المناسب لاستغلال ما لديهم من مواهب عقلية إلى أقصى حد ممكن ، بما يساعدهم على تكوين عادات صالحة وتعلم بعض الأعمال والمهن الميسورة التي تساعدهم على كسب العيش وأهم هذه الجهات ما يأتي : —

(١) المدارس الخاصة Special schools ، حيث يقدم لهم فيها دراسات قائمة على الاهتمام بالنواحي العملية والمهنية على أيدي مدرسين مختصين في تعليم ضعاف العقول ، ويحول لهذه المدارس حالات الضعف العقلي الممكن لهم الاستفادة منها بحيث لا نجد بينهم من يكونون في درجة العتة أو البله . وهذه المدارس يجب أن تكون حكومية ومجانا .

(٢) المؤسسات المعترف بها كراكز لرعاية ضعاف العقول Certified Institutions ، ويرسل إليها الحالات التي لا تتوفر في منازلهم مقتضيات الرعاية والحماية والإشراف اللازم لمثل هؤلاء الأطفال . وينبغي أن يوافق الآباء على إيواء أبنائهم في مثل هذه المؤسسات ، إلا في الحالات التي ترى السلطات المختصة فيها عدم ضرورة هذه الموافقة . وفي العادة يقوم الآباء القادرون بالمساهمة في نفقات إقامة أولادهم بهذه المؤسسات .

(٣) المؤسسات العامة للمساعدة المؤقتة Public Assistance Institutions وتحول إليها الحالات التي ينبغي فيها الإسراع بضرورة تغيير بيئة الطفل لضمان حمايته أو حماية غيره منه ، ويبقى بها الطفل مؤقتا إلى أن يتم عمل الترتيب اللازم لتدبير مكان له في مؤسسة أخرى من نوع آخر ليعيش فيها حياة استقرار .

(٤) إبقاء ضعاف العقول في منازلهم تحت الإشراف المستمر من الهيئة المسؤولة عن رعاية ضعاف العقول ، بحيث ترسل إليهم من وقت إلى آخر زائرات صحيات واجتماعيات الإرشاد والتوجيه ، وفي هذه الحالة تقوم الأمهات بما يجب عمله من مران وتعليم تحت إشراف المختصين . ويتوفر على الأهل كثير من المتاعب التي تنسب عن القلق في حالة انتزاع الطفل منهم وإرساله لمؤسسة بعيدة .

(٥) نقل الطفل من منزله إلى منزل آخر من المنازل المرخص لها بمزاولة احتضان هذا النوع من الأطفال ، وفي هذه الحالة يدفع أهل الطفل — أو الحكومة في حالة معجزهم — تكاليف إقامة الطفل ومعيشتهم لمن يدير المنزل الجديد . ويعتبر نظام الرعاية هذا Guardianship حلا وسطا بين بقاء الطفل في منزله تحت الإشراف ، ونقله إلى مؤسسة أخرى ، ويصح أن تضم هذه المنازل عددا قليلا من ضعاف العقول بحيث يعيشون في شبه عائلة على

أن تختار من الأطفال من يسهل قيادتهم ولا يفتش خطرهم من لا يتحتم حجزهم في مؤسسات أخرى .

ثالثاً : العزل في مستعمرات خاصة Segregation

وفي حالات الضعف العقلي من درجتي العته والبله ، أو الحالات التي يشهد خطرها ويتحتم إبعادها عن المجتمع تلجأ الهيئات المشرفة على ضعاف العقول إلى نظام العزل في مستعمرات Colonies يبقى بها ضعاف العقول بصفة مستديمة ، بحيث لا يسمح لهم بتركها بل يبقوا بها ليعيشوا في مجتمع خاص بهم له نظامه وتدابيره ، وينظم لهم إشغال أوقاتهم بما يساعد على المساهمة في تمويل المستعمرة . ويعهد بالإشراف على هذه المستعمرات إلى مختصين في تربية ضعاف العقول . وتعتبر هذه المستعمرات مراكز علمية للبحوث الطبية والنفسية والاجتماعية ولهذا يزورها العلماء ويقضي بها الباحثون وقتاً طويلاً . ومن أمثلة ذلك البحوث التي قام بها بنروز Penrose في دراسة العوامل الوراثية للضعف العقلي بمستعمرة كلشستر Colchester بإنجلترا ، حيث درس حالة ١٢٨٠ فرداً من ضعاف العقول . ويختار لهذه المستعمرات أماكن بعيدة عن المدن وفي مناطق ريفية حيث يسهل تنظيم وسائل الإعداد والمران القائمة على الاشتغال بالأعمال الزراعية ، كما تنشأ بالقرب من هذه المستعمرات أيضاً مراكز للتدريب المهني Occupational Centres يحول إليها ضعاف العقول ممن يحتمل تعليمهم بعض الحرف والصناعات .

وطبيعي أن هذه المستعمرات تتطلب نفقات كثيرة تتحملها الدولة والهيئات الخيرية من أجل هذه الفئة التي خلقها الله لتكون عالة على غيرها . واسكن هذه النفقات في الواقع أقل بكثير من النفقات التي يتكلفتها ضعاف العقول

لأن تركوا بين أفراد المجتمع المادى ، خصوصا إذا أدخلنا فى حسابنا ما ينبجم عن أخطارهم وحوادثهم من أضرار مادية واجتماعية .

ويضاف إلى ذلك أن إبقاءهم فى هذه المستعمرات يبعدهم عن جو الحياة المدنية الذى لا قبل لهم به والذى يشعرون فيه بالذلة والنقص عن غيرهم ، بينما هم فى المستعمرات الخاصة بهم يقضون وقتا يشعرون فيه بكثير من الحرية والسعادة والبعد عن الأخطار .

رابعاً : التعقيم Sterilization

إن أول ما يخطر بالبال كعلاج لمشكلة ضعف العقول هو إيقاف دخولهم للمجتمع بتنظيم الزواج والتحكم فى التناسل بحيث نمنع تيار غزوهم ، وذلك بأن نلجأ إلى تعقيمهم بحيث يصبحوا غير قادرين على إنجاب أجيال أخرى منهم . وهذا يحتاج إلى وضع التشريعات والقوانين التى تبيح هذا الإجراء .

وقد يعترض على ذلك بأنه إجراء معارض لحقوق هؤلاء الأدميين وحريةتهم فى الحياة والتكاثر ، وأن هذا تدخل فى عمل الطبيعة التى يجب أن تترك لتعمل حسب قانون الانتخاب الطبيعى وبقاء الأصحاء . . . كما قد تقوم أمام هذا الإجراء صعوبات عاطفية ودينية وسياسية . . . ولكن أهم ما يوجه لهذا العلاج من نقد أنه لا يؤدى إلى القضاء على ضعف العقول قضاء تاما كما يتبادر إلى الذهن ، إذ المعروف كما سبق أن قلنا أن ١٠٪ فقط من ضعف العقول يأتون من آباء ضعف العقول ، أما الباقون فيأتون من آباء عاديين أو ممتازين فى الذكاء . كما أن تعقيم ضعف العقول سيمنع إنجابهم لأفراد قد يكونون أذكاء وعاديين . . . ولكى يكون هذا العلاج مؤديا للغرض المقصود منه ينبغى ألا يتناول ضعف العقول فحسب ، بل أيضا جميع الأفراد الذين يظهر عندهم

أمراض عقلية أو صرع أو غيباء أو إدمان أو سلوك إجرائي طبيعي فيهم . .
أو غيرهم ممن يكون عندهم الاستعداد للإنجاب ضعاف العقول كما سبق أن بينا .
كما أن هناك صعوبات أخرى إدارية وفنية من حيث طريقة التنفيذ سواء في
طريقة قياس الذكاء وتحديد الحالات التي ينطبق عليها القانون ، أو في الأساليب
الطبية التي تتبع في التقييم ومدى نجاحها أو غير ذلك .

و رغم هذه الاعتراضات والصعوبات فقد قامت بعض الدول فعلا بتطبيق
نظام التقييم الإجباري ، فقد بدأت بعض الولايات الأمريكية بالأخذ به منذ
عام ١٩٠٧ ، كما لجأت إليه ألمانيا النازية وغيرها من البلاد ، أما في إنجلترا
فقد صدرت بها تشريعات تقضى بجعل التقييم أمرا اختياريا منذ عام ١٩٣٣ .
أما في مصر فحتى الآن لا توجد تشريعات بشأن ضعاف العقول كطائفة
لا من حيث تشخيصهم أو تعليمهم أو إيوائهم ، ولا زلنا محتاجين إلى إيقاظ
الوعي القومي والاجتماعي لفهم مسائل تحديد النسل من نواحيها المختلفة .

خامسا : العلاج الطبي Medical Treatment

قلنا إن الضعف العقلي ليس مرضا وإنما هو درجة من درجات
الاختلافات الفردية الطبيعية في القدرة العقلية العامة ، وإذن فالكلام عن
العلاج والشفاء في الضعف العقلي ليس له محل ، وخصوصا في حالات النوع
الموروث الأولي Primary وإنما يقصد بالعلاج الطبي هنا ما يتناول بعض
الحالات من النوع الثانوي Secondary ، والحالات التي يكون الضعف العقلي
فيها مصحوبا بأمراض جسمية تتطلب العلاج . وأهم النواحي التي يكون
للعلاج الطبي فيها بعض القيمة ما يأتي : -

(١) حالات الضعف العقلي الذي ترجع أسبابه إلى اضطرابات الغدد

الصماء والتي يمكن فيها إعطاء خلاصة الفئد منذ الطفولة ، وقد ثبت نجاح العلاج في بعض حالات القزامة Cretinism على الخصوص .

(٢) علاج الأم والطفل في حالات الإصابة بمرض الزهري ، على أن علاج الأطفال ضعاف العقول بهذا السبب لا يؤدي لأكثر من إيقاف تقدم المرض وبالتالي يوقف استمرار تناقص الذكاء ، ولكن من النادر أن يؤدي العلاج إلى زيادة إيجابية في الذكاء .

(٣) إجراء العمليات الجراحية في بعض الحالات التي يكون السبب فيها راجعا إلى إصابات في المنخ أو حالات كبر الجمجمة وغيرها من الحالات بشرط ألا يكون سبب الضعف العقلي فيها وراثيا ، ولكن من النادر جداً نجاح هذه العمليات في إحداث تحسن في الذكاء . ومثل هذا ينطبق على المحاولات التي بذلت في تجريب العلاج بالصدمات الكهربائية وغيرها من الوسائل العنيفة .

(٤) إعطاء بعض العقاقير التي تساعد على تنشيط القدر الموجود من الذكاء ، فقد ثبت حتى في حالات الأفراد العاديين في الذكاء — أن أخذ كميات مناسبة من الكافين أو البنزدرين يساعد على إيقاف النشاط الذهني بصفة مؤقتة — ولكنه لا يساعد على تحسين كمية الذكاء الفطري .

هذا وقد أجرى ألبرت Albert وآخرين عام ١٩٤٦ وكذلك زمرمان Zimmerman وآخرين عام ١٩٤٨ تجارب على استعمال الحمض الجلوتيمي Glutamic Acid كعلاج لضعاف العقول فوجد أنه يفيد في حالات الضعف العقلي المصحوب بالصرع حيث يوقف نوبات الصرع وينظم النشاط العقلي بما يساعد على تحسين الذكاء . على أن تحسن الذكاء بهذا العلاج لا يمكن أن يزيد عن بضع درجات كما أنه علاج يصعب الحصول عليه ويتطلب عناية خاصة في طريقة استعماله .

مراجع الفصل الخامس

1. Burt, C. : The Subnormal Mind : Ch. II 1937.
2. National Association for Mental Health : Notes on Legislation Relating to Mental Defects. 1946.
3. Penrose, L. S. : The Biology of Mental Defect, 1949.
4. Shrubsall & Williams : Mental Deficiency Practice. 1932.
5. Stoddard, G. D. : The Meaning of Intelligence. Ch. XI. 1943.
6. Tredgold, A. F. : Mental Deficiency. 1947.

الفصل السادس

التأخر الدراسي

التأخر وأنواعه

سبق أن قلنا إن العيادات النفسية التربوية تهتم بعلاج حالات التأخر الدراسي التي لا يجد المدرس من وقته ما يكفي لمبحثها بحثا شاملا ، والتي يحتاج فيها إلى الالتجاء إلى المختصين بالعيادة .

والتأخر الدراسي مشكلة مدرسية اجتماعية تهتم الآباء والمدرسين والتلاميذ وكل من لهم صلة بهم ، ولذا فهي تستوجب بحث عواملها وأسبابها ووسائل علاجها . ويكفي الإشارة إلى ما ينتج عن إهمال علاج التأخر الدراسي من رسوب التلميذ وفشله في التعليم أحيانا ، وما يلابس ذلك من قلق واضطراب عائلي ومن خسارة وضياع في الوقت والمال والمجهود في الدروس الخصوصية وإعادة الامتحانات . . . الخ . بجانب ما يصيب شخصية التلميذ من شعور بالنقص واليأس ، وقد تضيع عليه سنوات كاملة من عمره مما قد يفوت عليه بعض فرص الحياة .

وقبل أن نبحث العوامل التي تؤدي إلى التأخر الدراسي يجدر بنا أن نفرق أولا بين حالات التأخر التي نصادفها في الحياة المدرسية وهي حالات الغباء وحالات التأخر التحصيلي وحالات التأخر التعليمي أو الدراسي .

الغباء Dullness :

الطفل الغبي هو الذي يقل ذكاؤه عن غيره من الأطفال العاديين المتفهمين معه في العمر الزمني بدرجة وإن كانت كبيرة إلا أنها لا تصل إلى الضعف العقلي . فالغباء إذن طبقة من طبقات القدرة العقلية الفطرية العامة أو الذكاء ، ولذا يمكن تشخيصه عن طريق اختبارات الذكاء ومقارنة العمر العقلي بالعمر الزمني لإيجاد نسبة الذكاء . Intelligence Quotient .

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times 100$$

وقد اصطلح على اعتبار من تقع نسبة ذكاؤهم بين ٦٥ و ٨٥ أغبياء .. وطبيعي أن هذا التأخر العقلي يرجع إلى عوامل وراثية أكثر منها بيئية ، ولذا فليس من السهل التحكم فيه اللهم إلا من ناحية تهيئة البيئة الصالحة لاستغلال القدر الموجود من الذكاء والانتفاع به إلى أقصى حد ممكن .

وبدهى أن التلميذ الغبي إذا وجد بين مجموعة من التلاميذ الأحسن منه ذكاء فإنه سوف لا يستطيع أن يسير بسرعتهم في التحصيل المدرسي ، مما يؤدي به إلى التخلف عنهم ، ولذا نجد من حالات التأخر الدراسي كثيرا من الحالات التي يرجع تخلفها إلى الغباء ، وهؤلاء لا علاج لهم إلا بالتوجيه إلى أنواع ملائمة من المدارس ، أو وضعهم في فصول يتجانس أفرادها من حيث درجة الذكاء وإعطائهم القدر المناسب من المناهج وطرق التدريس ، إذ أن أمثال هؤلاء ينطبق عليهم قوله تعالى « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

غير أن حالات التأخر الدراسي لا ترجع كلها إلى الغباء فكثيرا ما تصادف تلاميذ عاديين أو ممتازين في الذكاء ومع ذلك متأخرين دراسيا ، وهؤلاء ينبغي

تحليل ظروفهم وبحث حالاتهم من النواحي الأخرى غير الذكاء لمعرفة أسباب تأخرهم وعلاجه .

التأخر التحصيلي Educational Retardation :

يطلق اصطلاح التأخر التحصيلي على التلميذ الذي يكون مستواه التحصيلي في المواد الدراسية أقل مما يناسب مستوى ذكائه الفعلي ، ولذا يكون قابلاً للتحسن ، أى في حالة التلميذ الذي لا يستغل ما عنده من ذكاء بالقدر الكافي فيبدو مقصراً ويتخلف عما يجب أن يكون عليه بالنسبة لنفسه ولما لديه من قدرة عقلية .

إذن فالتأخر التحصيلي يتوقف على مقارنة العمر التحصيلي والعمر العقلي للتلميذ لإيجاد النسبة التحصيلية Achievement Quotient .

$$\text{النسبة التحصيلية} = \frac{\text{العمر التحصيلي}}{\text{العمر العقلي}} \times 100$$

ويقدر العمر التحصيلي باختبارات التحصيل المقننة Standardised Achievement Tests وهي اختبارات في المواد المدرسية تختلف في نوعها عن الامتحانات التقليدية من حيث كونها مكونة من أسئلة أكثر عدداً وأقصر في الإجابة والزمن وأنها بذلك تعتبر عينة أكثر صلاحية لتمثيل معظم أجزاء المادة ، كما أنها لا تخضع في تصحيحها لعوامل شخصية لأن الإجابات عنها محدودة بناء على سابق تجربتها وثبوت صلاحيتها ، ويحسب العمر التحصيلي بمقارنة الدرجة التي يحصل عليها التلميذ في الاختبار بالمعايير Norms التي يكون قد سبق تحديدها بالتجريب على العدد الكافي من مدى معين من الأعمار .

أما العمر العقلي فيقدر باختبارات الذكاء كما سبق أن شرحنا .

فإذا أمكن قياس النسبة التحصيلية في تلميذ ما المادة ما أو جملة مواد دراسية ووجدنا أن هذه النسبة قريبة من ١٠٠ اعتبر التلميذ عادياً ، أي أن تحصيله يتمشى مع ما لديه من ذكاء ولا يوجد عنده أي تقصير ، أما إذا قلت هذه النسبة عن ٨٥ فإن هذا يدل على وجود التقصير والتأخر الدراسي الذي يستوجب البحث والعلاج ، ومن النادر جداً أن تزيد هذه النسبة عن ١٠٠ ، إذ أن معنى ذلك أن التلميذ يكلف نفسه أكثر من طاقتها كما يحدث أحياناً في دفع التلاميذ إلى العمل بالعقاب والإجبار وبالدروس الخصوصية والإرهاق بوسائله المختلفة ، وطبعي أن التلميذ في هذه الحالة يكون تحسنه الدراسي الأكثر من اللازم على حساب صحته وأعصابه مما يسبب كثيراً من الضرر . ولهذا يصح أن نكون على حذر في تقدير النسبة التحصيلية التي لا يمكن أن تزيد عن ١٠٠ بخلاف نسبة الذكاء فإنها تتراوح بين أكثر من ١٦٠ وأقل من ٤٠ ، أي أن ١٠٠ هي النسبة المتوسطة وليست النهائية كما في النسبة التحصيلية .

وبهذا المعنى الاصطلاحي نجد أنه ليس من الضروري أن يكون الغباء متبوعاً بالتأخر التحصيلي وإن كان يتبعه تأخر دراسي بطبيعة الحال . فقد نجد تلميذاً غيباً ولكنه يستغل القدر البسيط الموجود لديه من الذكاء إلى أقصى ما يمكن ، فتكون النسبة التحصيلية عنده قريبة من ١٠٠ ولا يكون عنده تأخر تحصيلي . ولكن غبائه سيجعله متأخراً عن غيره دراسياً إذا وجد بين مجموعة من الأذكياء الذين لا يستطيع مجاراتهم .

التأخر الدراسي Backwardness :

يعتبر التلميذ متأخراً دراسياً إذا ظهر ضعفه بوضوح في الدراسة عند مقارنته بغيره من التلاميذ العاديين من مثل عمره الزمني ، سواء أكان ذلك

راجعاً إلى الغباء أو إلى التأخر التحصيلي ، وسواء أكان ذلك التأخر عاما
General بحيث يشمل جميع المواد الدراسية ، أو خاصاً Specific بحيث يظهر
في مادة واحدة أو مادتين مثلاً .

وينبغي أن يتوقع المدرس أن يجد كثيراً من الاختلافات الفردية بين
تلاميذ فصله من حيث التقدم الدراسي وسرعة الفهم والاستجابة ، فهذا أمر
طبيعي يرجع إلى اختلاف المواهب والنواحي المزاجية والاجتماعية . . . وعلى
المدرس إزاء ذلك أن يدرس تلاميذه جيداً ، وأن يقدم لهم العناية الفردية
المناسبة ليضمن مسابرة كل واحد منهم لمجموعة الفصل . غير أن هناك حالات
قليلة يصادفها المدرس من آن لآخر ، يكون التأخر فيها واضحاً ومستمرًا للدرجة
تتطلب الدراسة الشاملة لظروف التلميذ مما يحتاج إلى وقت طويل . وتختلف
نسبة وجود هذه الحالات من مدرسة إلى أخرى ومن فصل إلى آخر ، بل
ومن مادة إلى أخرى ، حسب الظروف ومبلغ الاهتمام بالعناية الفردية في
التدريس . فالتأخر الدراسي من شأنه أن يزداد ويتضاعف إذا أهمل علاجه
خصوصاً في المواد الدراسية التي تتوقف الدروس الجديدة فيها على القواعد التي
يجب التأكد من إتقانها في الدروس السابقة ، كما في مادة الحساب مثلاً .

ولكن إذا كان التأخر أمراً نسبياً ، فما هي الحدود التي نعتبر عندها التلميذ
متأخراً دراسياً بالمعنى الاصطلاحي ؟ ثم كيف نقيس هذا التأخر ؟ يمكن القول
بأن التلميذ يكون متأخراً دراسياً في مادة أو أكثر إذا كان عمره التحصيلي
أقل بمقدار سنة ، أو سنة ونصف ، عن المستوى التحصيلي والعقلي للتلاميذ
العاديين من نفس العمر الزمني للتلميذ . ولكن القياس بالفرق في السنوات
لا يعتبر قاعدة سليمة ، إذ أن أثر الفرق يختلف من عمر إلى آخر ، فتأخر سنة
ونصف عند تلميذ عمره الزمني ٢٠ سنة ليس له من الخطورة ما نجده عند تلميذ

في سن ٧ سنوات مثلاً . ولأجل هذا قد اصطلح على تقدير التأخر الدراسي بقياس النسبة التعليمية Educational Quotient .

$$\text{والنسبة التعليمية} = \frac{\text{العمر التحصيلي}}{\text{العمر الزمني}} \times 100$$

فاذا قلت هذه النسبة عن ٨٥ اعتبر التلميذ في حالة تأخر دراسي يستحق

العلاج الخاص . ويقدر العمر التحصيلي كما سبق أن قلنا باختبارات التحصيل المدرسي المقننة — سواء أكانت لمادة واحدة أو لمجموعة من المواد — ومقارنة نتائجها بالجدول المعيارية التي يبين بها العمر التحصيلي المقابل لكل درجة .

وبدهى أن من الممكن للنسبة التحصيلية أن تزيد كثيراً عن ١٠٠ كما في حالات التلاميذ المتفوقين في الذكاء العام والتحصيل المدرسي أيضاً، حيث يكون هؤلاء متقدمين كثيراً بالنسبة لعمرهم الزمني .

ومما سبق يتبين أن كل تلميذ غبي أو متأخر تحصيلياً يكون متأخراً دراسياً ، ولكن قد يكون التلميذ متأخراً دراسياً وليس متأخراً تحصيلياً . كما أنه ليس من الضروري أن يكون المتأخر دراسياً من الأغبياء ، فقد يكون ذكياً ولكن ظروف حياته الأخرى أو غيرها من العوامل هي التي تسبب ما عنده من التأخر .

أسباب التأخر الدراسي

ترجع حالات التأخر الدراسي إلى اشتراك عدد من العوامل المتداخلة التي تختلف في نوعها وتأثيرها من تلميذ إلى آخر ، ولهذا ينبغي في تشخيص التأخر عند تلميذ ما أن تدرس حالته دراسة فردية خاصة .

وإذا حاولنا تصنيف أسباب التأخر الدراسي بصفة عامة فإننا نجد أن بعضها يتعلق بالبيئة ، ومنها ما يكون راجعاً لعوامل منزلية وما يكون راجعاً

لعوامل مدرسية ، كما أن بعضها يتعلق بالتلميذ نفسه مما يرجع إلى عوامل جسمية أو عقلية .

أولاً : العوامل المنزلية الاجتماعية :

وتشمل الظروف المادية ، والمستوى الثقافي للأسرة ، والحالة الوجدانية والخلقية التي تسود الجو المنزلي ، ثم الرفقاء والأصدقاء وغيرهم ممن يحيطون بحياة التلميذ . (١) ويمكن اعتبار الفقر من أقوى أسباب التأخر الدراسي في مدارسنا المصرية ، نظراً لما يتبعه من نقص التغذية وقلة وسائل راحة التلميذ وما يضطر إليه أحياناً من القيام بخدمات وأعمال غير دراسية ليساهم بها في تعويض النقص المادي في الأسرة . وكل هذا يرتبط بضعف الصحة ونقص القوة والطاقة الحيوية التي يوجهها التلميذ للعمل المدرسي .

(ب) ويتصل بذلك أيضاً عدم توافر الجو الثقافي الذي يساعد التلميذ على زيادة معلوماته العامة وتقوية تحصيله المدرسي ، فالتلميذ الفقير لا يجد في منزله فرصة لقراءة الصحف أو المجلات ، أو الذهاب إلى السينما أو حتى سماع الراديو أحياناً ، بينما يستطيع زملاؤه من الأغنياء أن يقرأوا الكتب الأدبية وأن ينتفعوا بالجو الثقافي الذي يساهم في تكوينه الأبنان المثقفان في أغلب الأحيان ؛ كما أن التلميذ الفقير لا يجد فرصاً كثيرة للرحلات والزيارات التي تزيد من خبرته العامة .

(ج) ويجب أن نؤكد أن عدم صلاحية البيئة المنزلية الاجتماعية لا ترجع إلى الفقر وحده ، فهناك بيوت يكون مستواها المادي فوق المتوسط أو ممتازاً ولكن يكون الجو المنزلي فيها مملوءاً بالخلافات العائلية والاضطرابات العاطفية التي تؤدي إلى عدم الاستقرار والاطمئنان الذي من شأنه أن يؤدي إلى اضطراب

نفسية التلميذ ، مما يؤثر على إقباله على الدرس والتحصيل . ومن أمثلة ذلك حالات التأخر الدراسي التي تسكون من أسبابها الرئيسية ما يلقاه التلميذ من قسوة في معاملة زوجة أبيه أو زوج أمه ، أو تنازع الأبوين على احتضان الابن بعد الانفصال بالطلاق . . وغير ذلك من ضروب التفكك العائلي وفقدان التوازن العاطفي .

هذا وقد يؤدي قلق الآباء الزائد عن الحد على سير التلميذ الدراسي إلى الإفراط في إثقاله بالدروس الخصوصية مما يسبب كراهيته للدراسة ، وإضعاف قدرته على الاعتماد على النفس ، مما يضاعف التأخر الدراسي في كثير من الحالات .

(د) وهناك من حالات التأخر الدراسي ما تسكون أسبابها متصلة اتصالاً وثيقاً بعلاقة التلميذ بأخوته أو أفراد المنزل من أقارب أو خدم ، وكثيراً ما يكون التأخر نتيجة صحية السوء وتأثير الزملاء والأصدقاء على التلميذ بما يغير اتجاهه نحو عمله المدرسي ، وما يرتبط بذلك من الوسائل التي يقضى بها أوقات فراغه .

ثانياً : العوامل المدرسية :

وأحياناً تسكون أسباب التأخر الدراسي راجعة إلى عوامل في المدرسة ذاتها كمواظبة التلميذ على الانتظام في الدروس ، أو سوء التدريس وفشل المدرس في عمله ، أو سوء التنظيم المدرسي بصفة عامة .

(١) فالتغيب عن المدرسة وخصوصاً لفترات طويلة متقطعة أو مستديمة من شأنه أن يفوت على التلميذ كثيراً من الدروس ، ويعوقه عن فهم المعلومات الجديدة التي تبني على نقط سابقة ؛ ولهذا يتجه البحث في هذه الحالات إلى معرفة أسباب عدم المواظبة وتلافيها ، ومن هذه الأسباب ما يكون رغم إرادة

التلميذ كالمريض ، أو اضطراب الأهل لمحجز التلميذ أحيانا لماونتهم في العمل كما في موسم الحصاد في الريف ، أو كثرة تنقل الآباء من بلد إلى آخر وما يتطلبه تحويل التلميذ للمدرسة الجديدة من وقت ؛ كما أن هناك أسبابا أخرى أكثر خطورة مثل كراهية التلميذ للمدرسة وهروبه منها ، أو اتفاقه مع بعض الزملاء على ارتياد دور السينما وترك المدرسة بسبب شعور التلميذ بالفشل وعدم القدرة على مسايرة غيره من التلاميذ . . كما أن تشدد المشرفين على الحضور والغياب وما يلجأون إليه من ضروب القسوة والعقاب أحيانا قد يؤدي إلى نتائج عكسية .

(ب) ويميل بعض المربين إلى أن يضعوا في المرتبة الأولى من أسباب التأخر الدراسي عدم كفاية التدريس حيث تلقى المسئولية على المدرس وطريقته أو المادة وعدم ملاءمتها للتلميذ . ولكن السبب الأكثر احتمالا من حيث المدرس هو عدم عنايته واهتمامه الكافي بكشف وتشخيص حالات التأخر الدراسي مبكرا وإعطائها العلاج المناسب . كما أن تغيير المدرسين بكثرة وعدم قدرة بعض التلاميذ على مسايرة طريقة المدرس الجديد — التي قد تختلف عن طريقة سابقه — قد تؤدي إلى التأخر .

هذا وتلجأ بعض الإدارات التعليمية إلى نقل المدرسين الصالحين من المدارس الابتدائية إلى الثانوية ، أو إلى أن تعهد إليهم بالتدريس في الفرق التي تعقد لها امتحانات عامة مما يعرض التلاميذ الآخرين لعدم الانتفاع بالمدرس الكفء فيكثر بينهم التأخر الدراسي .

(ج) وكثيرا ما تؤثر الروح المدرسية العامة ، وما يسودها من حزم في الإدارة والتنظيم في سير التلميذ الدراسي ، فالمدارس التي تتيح المناسبات والفرص للتلميذ لكي يشعروا بالفوق والنجاح الذي يزيد ثقتهم بأنفسهم لا تكثر

فيها حالات التأخر . إن أن الشعور بالنجاح في ذاته يوحد الحماس ويوقظ الأمل مما يساعد على بذل الجهد .

وقد يكون فساد نظم الامتحانات وطريقة النقل من فرقة إلى أخرى سببا جوهريا للتأخر الدراسي ، فليس أضر بالتلميذ من نقله إلى فرقة أعلا من مستواه الحقيقي سواء أكان ذلك بسبب الاعتماد على امتحان واحد تتدخل فيه عوامل الصدفة وغيرها ، أو بسبب الوسائل غير المشروعة التي قد يلجأ إليها أحيانا كالغش وغيره . ولهذا قد اتجه رأى المربين إلى تعديل نظم الامتحانات بجعل النقل مبنيا على عمل التلميذ طول العام الدراسي وعلى معرفة مبلغ استعداده للسير بنجاح في الدراسة القادمة .

ثالثا : العوامل الجسمية :

وهي العوامل المتعلقة بالنمو والصحة العامة ، أو عاهات الحواس المختلفة ، أو الاضطرابات الحركية التي تتضمن عيوب النطق وصعوبات الكلام ، واستعمال اليد اليسرى بدلا من اليمنى وما يترتب عليه .

(١) فكثيرا ما يكون اضطراب النمو الجسدى ذا تأثير مباشر فى النمو والنضوج العقلى ، كما أن ضعف البنية والصحة العامة من أشد العوامل تأثيرا فى إحداث التأخر الدراسى ، نظرا لما يتبع ذلك من القابلية للتعب ، وعدم القدرة على بذل الجهد ، والتعرض للإصابة بنوبات الزكام والصداع والحميات وغيرها من المضايقات الصحية .

وغنى عن الذكر ما تسببه الإصابة بالأمراض الطفيلية والمزمنة . . . والاضطرابات الوظيفية لأجهزة الجسم ، وعدم اتزان إفرازات الغدد الصماء ، وكذلك الإصابة بالصرع Epilepsy . . . الخ . من أثر يؤدي إلى التعطيل عن مواصلة العمل المدرسى مما يؤدي إلى التأخر .

(ب) أما عاهات الحس فتعتبر مسئولة عن عدد كبير من حالات التأخر الدراسي ، وخصوصا الحالات التي لا تكون فيها هذه الحالات واضحة لدرجة تسمح بفعلها في مدارس خاصة ، مثل حالات ضعف البصر الجزئي Partially Sighted ، وكذلك حالات ضعف السمع الجزئي Partially Deaf ، التي لا يفتن إليها المدرس . فقد يكون جلوس هؤلاء التلاميذ في أما كن غير مناسبة بالفصل سببا أساسيا لتعطل إدراكهم وتأخرهم . وهناك أنواع مختلفة للعاه البصرية والسمعية ، ففي حالة البصر نجد طول النظر أو قصره وعمى الألوان Colour Blindness . . وغيرها ، وفي حالة السمع نجد بجانب درجات ضعف السمع عدم القدرة على تمييز النغمة الدقيقة High - note Deafness وغيرها من أنواع الضعف التي تتطلب في تشخيصها الاستعانة بأجهزة وتجارب فنية خاصة .

وهناك حالات أكثر تعقيدا مما ترجع إلى اضطرابات فيورولوجية تتصل بالمراكز العصبية للأحواس ، وعدم التوافق الحسي الإدراكي الحركي ، كحالات الكتابة المعكوسة Mirror Writing وحالات عمى الكلمات Word Blindness وهي اضطرابات سمعية في إدراك أو فهم بعض الحروف أو أشكال الكلمات والتعبير عنها بالكتابة ، ويكون لهذه الأنواع من العاهات آثار بعيدة في التأخر الدراسي الذي يظهر بوضوح في القراءة والكتابة .

(ج) ومن أهم الاضطرابات الحركية ما يصيب اللسان وأجهزة الكلام ، ثم التوافق الحركي اليدوي الذي يظهر أثره في التأخر الدراسي في الرسم والأشغال اليدوية والكتابة . أما عيوب الكلام وصعوبات النطق وما ترتبط بها من الاضطرابات الانفعالية والمزاجية فمن شأنها أن تعوق التلميذ عن التعبير الصحيح ، كما تسبب له مضايقات زملائه ومعايرتهم له مما يصرف جزءا كبيرا

من طاقته في التفكير في هذه المشكلة والانصراف عن الدروس والتأخر فيها .
وكثيرا ما يصاحب عيوب النطق تأخر كبير في القراءة والأعمال المدرسية
الشفوية ، ويكثر ذلك في البنين أكثر من البنات .

وأحيانا يكون استعمال التلميذ ليداه اليسرى بدلا من اليمنى في الكتابة
سببا في خلق صعوبات نفسية عنده ، نتيجة المحاولات العنيفة التي يلجأ إليها
الأهل لإقلاعه عن ذلك ، وما يلابس هذه المحاولات من عناد مما يضعف
المشكلة ويحيطها باضطرابات مزاجية ، وبسبب تعثر التلميذ بين استعمال اليد
اليسرى تارة واليمنى تارة أخرى يحدث كثير من التعميل والاضطراب الحركي ،
الذي يبدو في رداءة الخط والتأخر الدراسي في الأعمال الكتابية في عدد غير
قليل من الحالات .

رابعا : العوامل العقلية :

وأهم هذه العوامل القدرة المعرفية الفطرية العامة أو الذكاء ، ثم حالة التلميذ
من حيث استعداداته وقدراته العقلية الخاصة ، وكذلك حالته المزاجية والخلقية
وما فيها من قوة أو ضعف أو اضطراب .

(١) فنقص الذكاء هو أقوى الأسباب التي تبدو في حالات التأخر
الدراسي الذي يستعصى علاجه ، أما إذا كان الذكاء عاليا فإن الأمل يكون
كبيرا في قدرة التلميذ على اللحاق بزملائه إذا عولجت الأسباب التي أدت إلى
التأخر . وقد وجد بيرت Burt أن حوالي ١٠ ٪ من مئات حالات التأخر
الدراسي التي قام ببحثها ترجع إلى الغباء الذي يكون وحده كافيا لإحداث
التأخر .

وتختلف أهمية عامل الذكاء للنجاح في مواد الدراسة المختلفة بحسب
اعتمادها عليه أو على غيره من القدرات العقلية الأخرى .

فقد وجد بيرت أن معامل الارتباط بين الذكاء والتحصيل المدرسي العام حوالي ٠٧٤٠ وبين الذكاء والإنشاء ٠٦٣٠ وحوالي ٠٥٥٠ للمسائل الحسابية ٠٥٤٠ للقراءة ٠٥٢٠ للإملاء ٠٤١٠ للحساب الآلي، ويهبط معامل الارتباط إلى ٠٣١٠ للخط ٠١٨٠ للأشغال اليدوية ٠١٥٠ للرسم .
(ب) أما القدرات والمواهب الخاصة. فيظهر أثرها بوضوح أكثر في حالات التأخر الدراسي في مادة معينة Specific Backwardness ، حيث لا يتوافر الاستعداد العقلي الكافي للسير بنجاح في دراستها ؛ ومن أمثلة ذلك تأخر عدد من البنات أكثر نسبيا من البنين في الحساب والمواد التي تتطلب القدرات الرياضية ، وكذا المواد العملية التي تتطلب القدرات الميكانيكية ، بينما يتأخر عدد من البنين أكثر نسبيا من البنات في اللغات والمواد التي تتطلب القدرات اللفظية .

ومن الثابت أن هناك اختلافات فردية بين التلاميذ في قدرات الذاكرة والتصور التي تؤثر في طريقتهم في الحفظ والدراسة ، ولذا يحدث أحيانا أن يكون تغيير أساليب التدريس بالاستعانة بالصور ووسائل الإيضاح البصرية لازما لعلاج التأخر الدراسي عند التلاميذ البصرين Visualisers الذين يكون تأخرهم راجعا لعدم ملاءمة الطريقة السمعية لهم ، بينما تكون هذه الطريقة ملائمة لغيرهم من التلاميذ السمعيين Audiles .

ولتشخيص التأخر الدراسي وعلاقته بعدم توافر الاستعدادات العقلية الخاصة ينبغي تحليل المواد الدراسية إلى القدرات العقلية التي تتدخل في دراستها^(١) وبحث نواحي ضعف التلميذ في هذه القدرات لمعرفة سبب تأخره ، فقد وجد أن مادة الهندسة مثلا تتطلب مستوى معيناً من الذكاء وقدرات

(١) انظر رسالة المؤلف للدكتوراه في تحليل القدرات الرياضية .

التفكير Reasoning والقدرة على التصور البصري Visual Imagery والإدراك المكاني Space Perception وغيرها . وأن السير في تعلم القراءة بنجاح يتطلب سلامة الحواس وجهاز النطق ، وقدرة الإدراك ودقة الملاحظة والقدرة التي تؤدي إلى سرعة التعرف والفهم . . بجانب الاتزان الانفعالي وغير ذلك .

(ح) أما النواحي المزاجية والصفات الخلقية فكثيرا ما تكون عاملا أساسيا يشترك في معظم حالات التأخر الدراسي ، ولهذا ينبغي دائما استكمال بحث هذه النواحي لمعرفة مدى تحفز التلميذ وحماسه للعمل وما عنده من طاقة انفعالية تساعد على إقباله عليه ، فقد تبين أن عدم الاتزان المزاجي Temperamental Instability وحالات القلق والاضطراب العصبي تؤثر كثيرا في أعمال التلاميذ التي تتطلب الدقة وتركيز الانتباه ، ولذا يكثر تأخر من يتصفون بهذه الصفات في الحساب ويكون خطيهم رديئا وأعمالهم ينقصها الترتيب والنظام .

وغنى عن الذكر أن النجاح المدرسي يتطلب وجود الصفات الخلقية الأساسية مثل المثابرة والأمانة والاعتماد على النفس ، والبعد عن الخداع والنفس والانتكال على الغير .

الأهمية النسبية لأسباب التأخر الدراسي :

تختلف أهمية العوامل السابقة لا من حيث كثرة انتشارها فحسب ، ولكن أيضا من حيث قوة تأثيرها في إحداث التأخر ، إذ أن النجاح المدرسي يتأثر بهذه العوامل بدرجات متفاوتة .

وقد وجد بيرت Burt في بحثه لعدد كبير من حالات التأخر الدراسي

بلندن وبرمنجهام ، والذي نشره في كتابه « العاقل المتأخر » أن الذكاء هو أكثر العوامل ارتباطا بالتحصيل الدراسي ، فمعامل الارتباط بينهما ٠٧٠ ، فإذا استبعد أثر الذكاء فإن معامل الارتباط بين التأخر الدراسي وضعف بعض القدرات الخاصة كالتمكيز والتذكر والانتباه يكون أقل من ذلك نسبيا ، وإن كان عاليا نوعا بين التحصيل والذاكرة البعيدة المدى (٠٥٠ إلى ٠٧٦) .

ويلى ذلك فى الأهمية — على هذا الأساس — عدم المواظبة ٠٤٠ و ٠ ، ثم بعض حالات الانحراف الخاصة كضعف السمع واضطرابات النطق — وهى وإن تكن نادرة الحدوث نسبيا — إلا أن آثارها تكون بعيدة وواضحة فى التأخر ، حيث يصل معامل الارتباط بينهما حوالى ٠٤٠ ، وكذلك نجد أن معامل الارتباط بين التأخر الدراسي والتأخر فى النمو الجسمى العام حوالى ٠٣٠ ، ومع الفقر الشديد بين ٠٢٥ و ٠٣٠ ، ويلى ذلك فى الأهمية حالات ضعف الصحة وسوء التغذية وتتابع الاصابة بالأمراض ، حيث يكون معامل الارتباط بين ٠٢٠ و ٠٢٥ ، أما فى حالات الانحراف المزاجية كعدم الاتزان المزاجى والقلق والنورستانيا فيقرب معامل الارتباط من ٠٢٠ ، وأخيرا نجد معامل الارتباط بين العلل البصرية والتأخر لا يزيد كثيرا عن ٠١٥ .

على أن هذه النتائج يجب أن تؤخذ بشيء من الحرص لأنها مستمدة من بحث خاص على مجموعة معينة من تلاميذ المدارس الانجليزية الذين تختلف ظروفهم كثيرا عن تلاميذ المدارس المصرية ، كما أن وجود الارتباط فى ذاته لا يتبعه حتما وجود علاقة سببية بين الظاهرتين ، فمعامل الارتباط قيمة إحصائية أما تفسيرها فيترك للقارئ الأخرى .

وما أحوجنا فى مصر إلى الكثير من أمثال هذا البحث لنبدأ بداية علمية فى دراسة هذه المشكلة التعليمية الاجتماعية على أسس سليمة .

وقد قام الدكتور عبد العزيز القوصي بدراسة تحليلية لحوالى ثلاثين حالة من حالات التأخر الدراسى التى بحثت فى العيادة النفسية بمعهد التربية للمعلمين بالقاهرة ، وأورد نتائجها فى كتابه « أسس الصحة النفسية » كما أشار إلى مصاحبات التأخر الدراسى ومضاعفاته مثل الهروب وشروذ الذهن وأحلام اليقظة ، كما وضع فى بعض الحالات علاقة التأخر الدراسى بانحراف الأحداث وجرأتهم ، وبالخروج على النظام والثورة ضد المدرسة .

علاج التأخر الدراسى

يمكن فى ضوء ما سبق شرحه عن أسباب التأخر أن نوجه النظر إلى ما يجب عمله لتقليل حالاته وعلاجها ، وذلك بالاهتمام بالنواحى الوقائية والنواحى التشخيصية وطرق العلاج ، التى يجب أن ترسم خططها وتحدد وسائلها بالإفادة من المختصين فى علم النفس كاستشارين لإدارات التعليم فى المناطق المختلفة .

أولاً : النواحى الوقائية :

وتشمل الاهتمام بالفروق الفردية سواء من حيث التوجيه التعليمى وبناء سياسة التعليم العامة على أساس سليم ، أو من حيث الاهتمام بالفروق الفردية فى كل مدرسة ، وإعادة تنظيم المناهج وطرق التدريس وإعداد المدرسين على أساس مراعاة هذه الفروق ، ثم العناية بالنواحى الطبية والاجتماعية وتعاون المدرسة والمنزل لصالح التلميذ .

(١) ويقصد بالتوجيه التعليمى Educational Guidance توجيه كل تلميذ إلى نوع التعليم المناسب لاستعداداته العقلية ، ولذا يجب أن تتنوع سبل التعليم بحيث تناسب حراتب القدرات العقلية . وقد فطنت لذلك إنجلترا

فوضعت لمرحلة التعليم الأولى من التشريعات والنظم ما يكفل إبعاد ضعاف العقول في مدارس ومؤسسات خاصة ، ثم أنشأت مدارس خاصة لمن يحتاجون إلى علاج تربوي من نوع مناسب لحالاتهم كذوى العاهات من العميان وضعاف البصر ، والصم والبكم وضعاف السمع ، والمصابين بالصرع ، ومن يكون عندهم عيوب في النطق ، والأغبياء ممن يظهر عجزهم عن متابعة الدراسة مع العاديين .

أما مرحلة التعليم الثانوي فنجد فيها ثلاثة سبل : أولها المدارس النظرية Grammar التي لا يسمح بالالتحاق بها إلا لمن يكون استعدادهم العقلي عالياً بحيث يستطيعون متابعة الدراسة التي توصل إلى التعليم الجامعي ليكون من هؤلاء قادة الفكر ؛ وثانيها المدارس العملية Technical التي لا يسمح بالالتحاق بها إلا لمن يكون ذكائهم وقدراتهم العملية الخاصة على درجة تجعلهم قادرين على التفوق في الأعمال الصناعية والمهن الفنية ليكون من هؤلاء قادة الصناعة والتجارة والزراعة ؛ أما السبيل الثالث فهو المدارس الثانوية الحديثة Modern التي يدخلها الباقون ممن انتهوا من مرحلة التعليم الأولى ومن تكون قدراتهم العقلية محدودة بحيث لا تنفع لهم مدارس النوعين السابقين . وترعى الدراسة في هذا النوع من المدارس إلى تسهيل التعليم الأساسي بما يمهّد لخروج تلاميذها إلى الحياة عند سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ليكونوا طبقة العمال والصناع الكادحين .

وطبيعي أن تختلف المناهج وطرق التدريس بما يناسب كل نوع من أنواع هذه المدارس ، وبهذا يجد كل تلميذ نفسه في الطريق الذي أهلت له الطبيعة ، ويكون مع زملائه في وسط متجانس من حيث المستوى العقلي ، ولذا يقل احتمال ظهور التأخر الدراسي في مثل هذا النظام التعليمي

(ب) وفي داخل كل مدرسة أيا كان نوعها ينبغي الاهتمام بالاختلافات الفردية بين تلاميذ كل فرقة ، وتقسيم التلاميذ إلى فصول متجانسة من حيث السن والذكاء والقدرة التحصيلية بقدر الإمكان ، وتنظيم الدراسة بحيث يسير تلاميذ كل فصل بسرعتهم الخاصة ، وبطرق التدريس التي تناسب مستواهم ، كما يصح أن يقل عدد تلاميذ الفصول الأضعف في قدراتهم لزيادة حاجتهم إلى الاهتمام الفردي ، ويجب أن يعهد بالتدريس لهم إلى مدرسين أكفاء فلا يصح أن يعهد بهم ناظر المدرسة إلى المدرسين القليلي الخبرة أو كبار السن ، فالعناية بهؤلاء التلاميذ يجب ألا تقل -- إن لم تزد -- عن العناية بالتلاميذ الأقوياء والأذكياء .

وقد رأيت بعض المدارس الثانوية بانجلترا تهتم بهذه الفاحية كثيرا لدرجة أنها كانت تعتمد إلى تقسيم تلاميذ الفرقة إلى شعب تختلف من مادة إلى أخرى بحيث يقسمون تقسيميا خاصا في حصص الرياضة ، وتقسيميا آخر في حصص اللغة بحسب تجانسهم في كل مادة . وكانت ترتب دروسا إضافية للشعب الضعيفة بحيث تضمن سير الجميع في مستوى واحد .

(ج) وفي جميع الأحوال يجب أن تعنى المدرسة بالفواحي الصحية والاجتماعية للتلاميذ ، وأن ينتظم الكشف الطبي الدوري عليهم جميعا ، ويبادر بعلاج أى انحراف يكتشف بدون إبطاء ، وينبغي أن يكون طبيب المدرسة ماما لا بأمراض الطفولة فقط بل بالطريقة التي تؤثر بها هذه الأمراض على نمو التلاميذ العقلي وقدرتهم التحصيلية أيضا .

وقد خطت مصر في ذلك خطوات طيبة فأنشأت الوحدات الصحية المدرسية مما سيؤدي إلى رفع المستوى الصحي للتلاميذ ويقلل من احتمال تأخرهم الدراسي .

وعلى الرغم من أن عددا كبيرا من حالات التأخر ترجع إلى عوامل النقص في القدرات العقلية التي لا يكون المنزل مسؤولا عنها ، إلا أن نسبة كبيرة من هذه الحالات يزداد أثر هذا النقص فيها بالعوائق التي تسببها البيئة المادية والاجتماعية في المنزل . ولهذا كان البحث الاجتماعي ضروريا في جميع حالات التأخر الدراسي ، ومن أجل هذا أدخلت مصر أخيرا نظام المختصين الاجتماعيين بالمدارس لأنهم بمقتضى إعدادهم الفني الخاص يستطيعون العمل على ضمان تعاون المنزل والمدرسة ، وتوجيه النصيح إلى الآباء ليعاملوا أولادهم المعاملة التي تؤدي إلى تحسين مستواهم الدراسي ، وإرشادهم إلى ضرورة الإشراف المنزلي على التلميذ في أداء واجباته المنزلية وما يعطيه المدرس من نصائح أو بطاقات علاجية تساعد على علاج التأخر الدراسي .

ثانيا : الفواحي التشخيصية :

وتشمل ما يقوم به المدرسون والنظار والمفتشون والإدارات التعليمية من اختبارات عقلية ودراسية وغيرها لأغراض التوجيه التعليمي ، أو تشخيص حالات التأخر التي تظهر في صورة جمعية ببعض المدارس أو الفصول ، أو تشخيص حالات التأخر الفردية في مادة أو أكثر من مواد الدراسة .

(١) أما اختبارات التوجيه التعليمي فتنظمها الإدارات التعليمية بقصد اختبار مواهب التلاميذ والوقوف على مستوياتهم التحصيلية ، بقصد المقاضلة بينهم في الالتحاق بأنواع التعليم المختلفة ، وتوجيه كل منهم إلى الطريق الذي يناسبه ؛ وتلجأ وزارة المعارف حاليا لتحقيق هذا الغرض إلى الامتحانات العامة ، ولكن من الواجب أن تستبدل الامتحانات التقليدية بإجراء اختبارات للذكاء والقدرات العقلية الخاصة ، وكذا اختبارات مبنية للتحصيل المدرسي في مواد

الدراسة المختلفة ، بجانب ما يقدمه المدرسون من تقارير عن حالات تلاميذهم في ضوء ما يكونوا قد قاموا به من تسجيلات في بطاقة التلميذ أثناء الأعوام الدراسية الماضية .

(ب) وأما اختبارات التشخيص الجمعية فيقصد بها ما يقوم به المفتشون والنظار والمدرسون أحيانا للوقوف على المستوى التحصيلي للتلاميذ ، لأغراض إرشاد المدرسين وتوجيههم إلى أساليب العلاج المناسبة لما يظهر من حالات التأخر الدراسي . ويستعان باختبارات الذكاء هنا لمعرفة الحالات التي يرجع تأخرها إلى الفناء ولا يكون المدرس مسئولا عنها ، كما يستعان بالاختبارات التحصيلية في مواد الدراسة المختلفة لمعرفة المادة التي يكثر فيها الضعف وتتطلب المزيد من الاهتمام .

وهذا النوع من التشخيص يأخذ أحيانا شكل معاينات واسعة Surveys لتحقيق أغراض علمية أو إدارية ، كالبحث الذي قام به بيرت Burt في مدارس لندن وبرمنجهام ، وكان له أثر كبير في لفت النظر إلى مشكلة التأخر الدراسي .

وكثيرا ما يتضح من مثل هذه الاختبارات التشخيصية ضعف المستوى في إحدى المدارس أو الفصول بشكل يستوقف النظر ، فتكون أسبابه راجعة إلى ظروف مدرسية خاصة ، كعدم كفاية التدريس أو عدم معرفة المدرس بأصول طرق التدريس الخاصة بمادته . ومن أمثلة ذلك حالة أحد الفصول بمدرسة ابتدائية تبين تأخر تلاميذه في مادة الحساب وحدها ، وتبين أن السبب كان يرجع إلى تسرع المدرس في الانتقال بالتلاميذ إلى دراسة القسمة المطولة قبل إتقان ما سبقها من العمليات الحسابية ، فبرغم أن التلاميذ

كانوا يحفظون جدول الضرب جيداً إلا أنهم كانوا يبطنون كثيراً في عمليات الجمع والطرح ، وتبين أن ذلك يرجع إلى ثبوت عادة العد على الأصابع عندهم ، وعدم حفظهم لتشكيلات الجمع والطرح الأولية ، وكان العلاج قائماً على الرجوع بالتلاميذ جميعاً إلى مرحلة التدريب على عمليات الجمع والطرح البسيطة ، وتخليصهم من عادة العد على الأصابع التي لم يفطن المدرس إلى خطورتها .

(ج) أما اختبارات التشخيص الفردية فيقصد بها ما يقوم به المدرس من أن لآخر من تصميم اختبارات خاصة لتلاميذ فصله ، لمعرفة نواحي الضعف عندهم ومتابعته لعملية التشخيص ، بتصميم اختبارات فردية خاصة بكل تلميذ لمعرفة تفاصيل نقط الضعف عنده ، حتى يبنى علاجه على أساسها .

وتفيد هذه الاختبارات كثيراً في حالات الدراسة الفردية في العيادات النفسية ، وفي حالات إعطاء الدروس الخصوصية للتلاميذ الضعيف ، حيث يتناول التشخيص خطوات متتالية ترمي إلى تحديد نقط الضعف التفصيلية .

وواضح أن مثل هذه الاختبارات الفردية تحتاج إلى جهد خاص من المدرس لأنها ستختلف من تلميذ إلى آخر . ولسكنها في نظري أهم عمل للمدرس حيث يجب أن تبنى عليها الواجبات المنزلية والبطاقات العلاجية وغير ذلك من وسائل العلاج الفردي للتأخر الدراسي .

ثالثاً : الطرق العلاجية :

فإذا انتهينا من خطوة التشخيص ودراسة الأسباب وجب أن ننتقل إلى أساليب العلاج التي تقع أولاً وأخيراً على عاتق المدرس ، وإن كان من الممكن أن يتعاون معه جهات أخرى . ففي كل الحالات ينبغي أن يرتب المدرس لتلاميذه سجلات منظمة يتبين منها نتائج التشخيص وخطوات العلاج ومدى

التقدم أو التأخر أثناء سير التلميذ في الدراسة . ويمكن أن يتم هذا العلاج عن طريق المدرس نفسه ، أو عن طريق اشتراك الوالدين وتعاون المنزل ، أو بتحويل التلميذ إلى العيادة النفسية التربوية إذا كانت المشكلة أكثر تعقيدا .

(أ) فأما واجب المدرس في داخل الفصل فهو العمل على توجيه العناية الفردية للتلميذ الضعيف ، وإعطائه من التمرينات العلاجية بطريقة البطاقات ما يمكنه من اللحاق بزملائه . وفي بعض الأحيان يكون من المفيد إعطاء التلميذ وحده أو مع غيره ممن يشتركون معه في التأخر بعض الدروس الإضافية كوسيلة تكيفية لعمل المدرس في الفصل ، كما يحدث في حالة التلاميذ الذين تفوتهم بعض الدروس لأسباب قهرية .

ويساعد المدرس في عمله العلاجي استغلاله للنواحي التي يبرز فيها التلميذ وتشجيعه على التقدم وإشماره بقدرته على النجاح حتى لا يستسلم لليأس ، وفوق ذلك كله ما يسود علاقتهما من روح العطف والتعاون .

(ب) وأحيانا يكون من الضروري تكليف التلميذ ببعض الواجبات المنزلية التي يساعد أدائها بانتظام على علاج التأخر ، ويتوقف نجاح هذه الطريقة على مدى تعاون الآباء في المنزل ، وفي بعض الحالات يكون من الجائز السماح للتلميذ بأخذ بعض الدروس الخصوصية بما يعرض ما فاته من الدروس ، ولكن ينبغي الحرص الشديد في السماح بمثل هذه الدروس فلا يصح إعطاؤها إلا للتلاميذ ذوي الاستعداد العقلي والجسمي الكافي لاحتمالها ، أما ما يعتمد إليه بعض الآباء من فرض هذه الدروس على أولادهم بسبب وبغير سبب فإنه يؤدي إلى كثير من الضرر ، فالتلميذ الذي يتعود الدروس الخصوصية يشب قليل الثقة بنفسه ميالا للاتكال على غيره ، بحيث لا يستطيع السير

في التعليم بدون هذه الدروس . بل كثيرا ما يؤدي إرهاق التلميذ بالدروس
الخصوصية إلى كراهية التعليم والانصراف عن الانتباه للدروس اعتمادا على
المدرس الذي سيميد له شرح ما فاتته منها . وللدروس الخصوصية أخطار أخرى
كثيرة ولذا لا يصح تشجيعها إلا في الحالات النادرة .

(=) وقد يكون التأخر الدراسي مرتبطا بانحرافات مزاجية أو مضاعفات
أخرى معقدة ، وفي هذه الحالات يصبح من الضروري لعلاج التأخر الالتجاء
إلى العيادات النفسية التربوية التي تقوم بدراستهم دراسة فردية كاملة وتقتصر
لهم العلاج المناسب ، ويلحق بهذه العيادات في أغلب الأحيان فصول علاجية
خاصة Remedial Classes حيث يعهد فيها إلى مدرسين مختصين بواجب
العلاج فيعاونوا بذلك المدرس في عمله .

وتفيد هذه العيادات خصوصا في حالات أعراض الكلام وما يصحبها
من تأخر في القراءة ، وحالات التأخر الدراسي المصحوب بمشكلات أخرى
في السلوك .

وتهتم معاهد إعداد المعلمين التقدمية بتمرين طلابها على التدريس العلاجي
للتلاميذ المتأخرين دراسياً ، بأن تهيء لهم فرصة العمل في العيادات النفسية
التربوية ، والتدريب العملي في فصول التأخر الدراسي .

ومن أمثلة ذلك ما قام به معهد التربية في برمنجهام إذ أنشأ قسما خاصا
لعلاج التأخر الدراسي وجعله مركزا ملحقا به بمثابة محطة للبحوث التربوية
ولتمرين الطلاب .

مراجع الفصل السادس

- 1 . Baker : Introduction to Exceptional Children.
- 2 . Barakat, M. K : A Factorial Study of Mathematical Abilities.
B. J. Psy. Stat. Sec. Vol. IV, Part III, Nov. 1951.
- 3 . Burt : The Subnormal Mind.
- 4 . Burt : The Backward child.
- 5 . Fernald : Remedial Techniques in Basic School Subjects.
- 6 . Ministry of Education Pamphlet No. 5 : Special Educational Treatment.
- 7 . Nunn P. : The Education of Backward children.
- 8 . Schonell F. : Backwardness in the Basic Subjects.
- 9 . Schonell F. : Diagnosis of Individual Difficulties in Arithmetic.
10. The University of Birmingham Institute of Education : Remedial Education Centre.
11. Traxler. A, E : Techniques of Guidance.

الفصل السابع

ذنوب الأحداث

مقدمة :

رأينا في حالتى الضعف العقلى والتأخر الدراسى مثالين للانحراف أو الشذوذ أولها يتعلق بالتكوين العقلى الطبيعى أو القدرة المعرفية الفطرية ، والثانى يتعلق بالتكوين الثقافى المكتسب أو القدرة المعرفية التعليمية ، وفى كلتى الحالتين كان الشذوذ أمرا خاصا بالفرد ، بحيث لا يتحتم أن يترتب عليه ضرر إيجابى بالغير .

أما مشكلة ذنوب الأحداث فنوع آخر من الانحراف الذى يتعدى أثره إلى إيقاع الضرر بالغير مما يقع تحت طائلة العقاب ، ولهذا يعتبر شذوذا فى السلوك الاجتماعى .

وإذا كانت انحرافات الأحداث من النوع الذى يعتبر خارقا للقانون بحيث تستحق العقوبة لو حدثت من الكبار فإنها تسمى « جرائم الأحداث » ولكن الكلام هنا سيتناول « ذنوب الأحداث » حتى يكون البحث شاملا لتلك التصرفات التى يفلت مرتكبوها من الإحالة إلى المحاكم ، والتي قد تضارع تلك الجرائم فى خطورتها وأهميتها . كما أن استبدال لفظة « جرائم » بالانحرافات أو الذنوب فى حالة الأطفال يتضمن استبدال النظرة القاسية الانتقامية إليهم بالنظرة الدراسية العلاجية التى تدعو إلى اتجاه المجتمع فى معاملة الأحداث نحو الإصلاح والرعاية والتهديب بدل السجن والعقاب والتعذيب ، فبدل أن

نعتبر الأطفال من مرتكبي هذه الذنوب مجرمين آثمين يصح أن نعتبرهم مرضى أو منحرفين يحتاجون إلى العلاج والتقويم لتصحيح نفوسهم فيصحبوا مواطنين نافعين .

ويمكن أن نتناول مشكلة الأحداث من عدة زوايا . فهي تعد مشكلة تربوية لأنها لا تختلف كثيرا عن مشكلات الأطفال اليومية في أساسها والدوافع إلى ارتكابها سوى أنها تتخذ وضعا قانونيا خاصا لارتباطها بالعدوان على الغير ، وهي مشكلة قانونية من حيث التشريعات التي توضع بشأنها من ناحية محاكمة الأحداث وعقوباتهم . . الخ ، كما أنها تعد من المشكلات البارزة في علم الاجتماع من حيث عواملها وآثارها الاجتماعية ، على أن المشكلة من حيث دوافعها وأسبابها تقع في دائرة علم النفس الذي يبحث القوى الديناميكية الفعالة في شخصية الحدث والتي تسوقه إلى ارتكاب هذه الذنوب ، كما يرسم خطوط العلاج النفسي والتربوي التي ترمي إلى وقاية المجتمع وحماية الحدث من الانسياق إلى طريق الجريمة الذي يؤدي به إلى السجن والهوان في المستقبل . ومن المهم أن نؤكد ضرورة ارتباط الدراسات التي تقوم بها هذه العاوم وغيرها مما يمس المشكلة من قريب أو بعيد ، إذ أن سلوك الإنسان في أي صورة من صوره السوية أو الشاذة يعتبر محصلة لعدة عوامل أو قوى لا يمكن الفصل بينها ، وإن كنا نسمى بعضها عوامل نفسية وبعضها عوامل اجتماعية وبعضها عوامل جسمية . . وهكذا . . فالسلوك مظهر للشخصية التي تعتبر وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة .

فكرة عامة عن تشريعات الأحداث في مصر :

قد يكون من المفيد أن نستعرض نظام معاملة الأحداث في مصر باختصار فإن هذا يساعد على إبراز أهمية المشكلة قبل أن نتعرض للجانب النفسي منها .

وضع أول تشريع مصري للأحداث عام ١٨٨٢ ثم عدل تعديلات كثيرة أهمها تعديل عام ١٩٣٧ ؛ ويعتبر قانون الأحداث الطفل غير مسئول عن تصرفاته حتى سن السابعة . أما إذا ارتكب جنائية أو جنحة وهو في سن ٧ — ١٢ فلا يحكم عليه بعقوبة سوى تسليمه إلى والديه أو أهله ، أو إرساله لإصلاحية أو ملجأ أو مؤسسة حكومية أخرى . أما إذا ارتكب الحدث بين سن ١٢ و ١٥ سنة جنائية عقوبتها الأشغال الشاقة أو السجن فإنها تبدل بالحبس الذي لا يزيد عن ثلث المدة الأصلية للكبير ، وإذا ارتكب الحدث جنائية عقوبتها الإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة فإن العقوبة تبدل بالحبس لمدة لا تزيد عن عشر سنوات . ويجوز للقاضي ألا يحكم عليه بالحبس بل بعقوبة تأديبية بتسليمه لأهله أو إرساله إلى إصلاحية . .

ولم تكن القوانين حتى عام ١٩٠٨ تشمل الأحداث المشردين أو المهملين أو الذين لا عائل لهم ، ما داموا لم يرتكبوا جريمة يعاقب عليها قانون العقوبات . ولكن في ذلك العام وضع قانون خاص بالمشردين الأحداث وعدل بقانون عام ١٩٤٩ ، وفيه يعتبر الحدث ، ذكرا كان أو أنثى ممن لم يبلغ ١٨ سنة ، متشرداً إذا وجد متسولاً أو مارقاً من سلطة أبويه أو لم يكن له محل يأويه بحيث يبيت في الطرقات . . الخ ، ولذا يجوز للنيابة العامة بحث حالته وتسليمه لوالديه ، أو وضعه في مؤسسة تحت إشراف وزارة الشؤون الاجتماعية ، على أن يخلى سبيل الحدث حتماً إذا بلغ عمره ٢١ سنة كاملة .

وفي كل من القاهرة والإسكندرية توجد محكمة خاصة للفصل في قضايا الأحداث ، وملحق بكل منها مكتب للخدمة الاجتماعية لمحاكمة الأحداث ، مهمته التعاون مع المحكمة في بحث حالات الأحداث المحولين للمحاكمة من النواحي الاجتماعية والنفسية والصحية ، على أن يرفع تقارير بنتائج بحثه مشفوعة

باقترحات استشارية للقاضي أن يأخذ بها أو يرفضها ، وهذه المكاتب تعتبر في الحقيقة نوعا من العيادات النفسية بالمعنى الصحيح .

هذا وتوجد بمصر عدة إصلاحيات للأحداث وهي : إصلاحية الجيزة المخصصة للأحداث المشردين من سن ٨ سنوات فأكثر بحيث لا يبقى بها الحدث إذا وصل إلى سن ١٨ سنة ؛ ويشرف عليها من حيث المراقبة ضباط عسكريون ، ومن حيث التعليم مدرسون من التعليم الأولي وبعض الموظفين الفنيين في تعليم الصناعات . أما إصلاحية البنات فتعتبر مدرسة داخلية للتدريب المنزلي وتضم البنات ممن يحكم عليهن حسب قانون التشرد أو قانون العقوبات ، بين سن ٧ و ١٢ سنة ولا تبقى بها البنت إذا وصلت إلى سن ١٨ سنة . وهناك أيضا إصلاحية المرج المخصصة للمحكوم عليهم بقانون العقوبات ، أي الأحداث المجرمين ، حيث يتعاملون بها الزراعة والصناعات الزراعية بجانب التعليم الأولي . وأخيرا نجد إصلاحية الأحداث بالقناطر الخيرية ، وهي تعتبر مدرسة صناعية للنزل والنسج مع التعليم الأولي أيضا ، ويختار لها الأحداث المتشردون ممن ألحقوا بإصلاحية الجيزة وقضوا بها فترة لا تقل عن سنتين مع توافر شروط خاصة من حيث ملاءمتهم واستعداداتهم لهذا النوع من العمل الصناعي .

أسباب ذنوب الأحداث

يهتم القانون بالنظر إلى جرائم الأحداث من حيث نتائجها ، ومبلغ الضرر الذي ينتج عنها ، ولهذا تهدف الدراسة القانونية لقضايا الأحداث إلى محاولة إثبات التهمة أو نفيها بالبحث عن الشهود والأدلة والقرائن . . . الخ ؛ إذ أن الغرض الأساسي هنا هو حماية المجتمع وحفظ الأمن . . . ولهذا يقسم القانون

هذه الذنوب إلى مخالفات وبيع وجنایات . . . وهكذا ، ويقرر لنا العقاب على حسب القدر الكفى للضرر وما تنص عليه مواد القانون .

ولكن الجريمة على هذه الصورة ليست سوى ظاهرة خارجية ، إذ تكن وراءها أسباب أكثر أهمية لعمقها وتواصل جذورها أحيانا في شخصية المذنب ، ولهذا فالعقاب ليس إلا علاجا سطحيا للظاهرة ، ولن يزيد المشكلة إلا تعقيدا ، لأنه يضيف عاملا جديدا في دفع المذنب لمعاودة الإجرام في أغلب الأحيان . وكثيرا ما تعرض للمحاكم حالات من المجرمين العائدين ، الذين تكون حياتهم عبارة عن سلسلة متتابعة من الذنوب والجرائم التي ترجع بوادرها إلى أيام الطفولة والصبا ، ولم تثمر فيها الأحكام والعقوبات السابقة بل زادت تعقيدا . وفي مثل هذه الحالات يصح أن نتساءل هل من الممكن أن يساعدنا علم النفس على دراستها في باكورة ظهورها ، وعندما يكون الفرد لا يزال في مرحلة المرونة والقابلية للتشكل والتغير ، حتى نحول بينه وبين هذه النهاية التمهية المؤسفة ؟

يؤكد علم النفس أهمية تركيز البحث في الحدث ذاته وفي طبيعة ذنبه والظروف التي ساقته إلى ارتكاب هذا الذنب أو ذلك . ولهذا يركز الاختصاصي النفسي جهوده في بحث البواعث والأسباب مهما كانت الصورة الشكلية أو السكينة التي يظهر بها الذنب .

وقد ثبت أن ذنوب الأحداث ترجع إلى أكثر من سبب واحد ، وأن هناك ما يزيد على ٦٠ عاملا يمكن تنفيذها كصفات مميزة لجماعة المجرمين الأحداث ، وأن من الممكن أن يشترك أكثر من ١٢ سببا في دفع الحدث إلى ارتكاب ذنب واحد ، وأن الذي يؤدي بالحدث إلى ارتكاب ذنب معين ليس ذلك السبب المباشر الذي قد يكون واضحا فيعاقب الحدث من أجله ،

وإنما هو في الأغلب نراكم مجموعة من الأسباب والعوامل واحدا بعد الآخر لدرجة تجعل الحدث غير قادر على احتمال الموقف الذي ينتج عن إقبال نفسه بهذه الأسباب المتراكمة فيقع في ارتكاب الذنب ويجب إذن أن يكون العلاج قائما على بحث الأسباب كلها لا على مجرد النظر إلى السبب المباشر .

ويجب أن نشير هنا إلى أن الذنب الواحد قد يرجع إلى أسباب مختلفة من شخص إلى آخر، وتختلف الأسباب في الشخص نفسه من مرة لأخرى . فقد يكون الدافع للسرقة مثلا مرة الجوع ، ومرة حب التملك ، ومرة الجهل وعدم القدرة على التمييز بين حقوق الشخص وحقوق غيره ، ومرة أخرى مرض نفسى وهكذا .

وإزاء تعدد الأسباب وتنوعها وتداخلها ينبغي في دراسة ذنوب الأحداث الالتجاء إلى طريقة البحث الفردى Case Study لمعرفة الدوافع الحقيقية والظروف التي تجمعت فأدت بالحدث إلى ارتكاب الذنب ، وذلك في ضوء تحليل الموقف الكلى وتفاعل القوى المكانية والزمانية سواء منها ما يتعلق بالفرد نفسه وما يتعلق بعوامل البيئة . وهذا لا يتم على الصورة المجدية إلا في العيادات النفسية الملحقه بمحاكم الأحداث حيث يتوافر وجود المختصين في جميع النواحي .

وسنحاول فيما يلي تصنيف الأسباب المختلفة لذنوب الأحداث فإن هذا يساعد عند البحث في دراسة الحالات الفردية بالعيادات . وسنتبع في هذا التصنيف نفس الخطة التي يمكن أن نلجسها في دراسة عوامل التأخر الدراسي ، والتي تصلح لدراسة أى نوع من أنواع الشذوذ النفسى ، وهى خطة مبنية على تحليل الشخصية إلى مركباتها الرئيسية^(١) .

(١) انظر كتاب تحليل الشخصية للمؤلف .

عوامل البيئة

كان المعتقد قديماً أن الإجرام صفة طبيعية تولد مع بعض الأشخاص ، ولكن الدراسات التحليلية لعوامل الإجرام قد أثبتت أن معظم هذه العوامل ترجع إلى فساد البيئة ، وأن الإجرام ظاهرة اجتماعية بمعنى أن الخارجين على القانون هم في أغلب الأحيان ضحايا فساد التربية والبيئة والظروف ، ولا ذنب لهم في الحقيقة ، بل الذنب ذنب أهلهم وذنب المجتمع الذي همياً لهم البيئة السيئة التي نشأوا فيها .

ويؤكد علماء الاجتماع والتربية على الخصوص أهمية عوامل البيئة المنزلية والمدرسية والاجتماعية العامة ، سواء منها ما يتعلق بالفقر المادى وما يترتب عليه من تقدير أو حرمان ، وما يتعلق بأساليب التربية وما يكون فيها من أخطاء وعيوب ، كتناقض معاملة الوالدين أو سوء أخلاقهما ، وأهم من كل ذلك عامل التفكك العائلى وانحلال روابط الأسرة الذى يعتبر مسئولاً عن أكثر من نصف حالات ذنوب الأحداث وتشردهم .

وقد دات الدراسات الإحصائية التى قام بها مكتب الخدمة الاجتماعية للأحداث بالقاهرة على أن ٧٦٪ من الحالات التى قام ببحثها ترجع أسباب الانحراف فيها إلى أثر البيئة المنزلية بمواملها المختلفة ، و ١٤٪ إلى أثر البيئة الخارجية كصحبة قرناء السوء أو تأثير بعض روايات السينما أو وقوع الحدث تحت سلطة (البلطجية) ، وأن ٨٪ فقط من الحالات ترجع إلى عوامل ذاتية فى شخصية الحدث كالعاهات الجسمية والعقلية والنفسية ، وترجع باقى الحالات إلى عوامل مختلفة حار المكتب فى تغليب انتسابها إلى أحد هذه الأقسام .

وتدل المعايينات الإحصائية الواسعة على أن الأحياء الفقيرة التى تفتشر

فيها العقائد الفاسدة والجهل والمرض والانهلال الخلقى تكون مصدرا لعدد من الأطفال المنحرفين يفوق بكثير العدد الذى ينحرف من أطفال الأحياء الراقية.

ويمكن تقسيم ذنوب الأحداث بحسب عمق تأثير عوامل البيئة فيها إلى ما يأتى : —

أولا : الذنوب البريئة Benign Delinquencies :

وهى التى تعزى إلى عدم فهم وتقدير خصائص الطفولة وعدم تهيئة الجو الملائم للطفل كى يعبر عن دوافعه الطبيعية بطريقة مناسبة ، فكثيرا ما يقع الطفل فى أخطاء وذنوب أثناء التعبير الطبيعى عن دوافعه النفسية دون أن يقصد إلى إحداث الضرر بالغير ، ولذا لا يصح لوم الطفل عليها لأنها تتمشى مع قواعد الصحة النفسية . ومن أمثلة ذلك أكاذيب الأطفال التى تتصل بخصوبة خيالهم فى بعض مراحل النمو ، وكذلك ما ينتج عن ميل الطفل الطبيعى للمخاطرة وحب التساق الذى يدفعه أحيانا إلى تجريب قدرته على تسلق شجرة أو سور حديقة فيمسك به صاحبها ويتهمه بالسطو أو الشروع فى السرقة ، ومن أمثلة ذلك أيضا ميل الطفل إلى اللعب والتعبير عن طاقته الحيوية بلعب الكرة ، ولصقتها تخطيء فتصيب زجاج نافذة الجيران . . وغير ذلك مما يمكن تلافيه بتهيئة الملاعب والحداثق وأخذ الأطفال فى رحلات تشبع ميالهم للمخاطرة وغيرها .

وينبغى أن نقف من مثل هذه الذنوب موقفا ليئا ، وألا نعامل الحدث الذى يرتكبها بالقسوة أو نتهمه بالإجرام ، بل يصح التفاضى عنها لأن وصم الطفل بالسرقة أو الإجرام فى هذه الحالات قد يخلق منه مجرما بالفعل فيما بعد .

ثانيا : الذنوب البسيطة Simple Delinquencies :

وترجع بساخطها إلى عدم تمتع جذورها في نفسية الحدث ، حيث تكون عوامل البيئة ذات أثر مباشر في إحداثها دون أن يكون عند الطفل نفسه استعداد للساوك الإجرامى ، كالطفل الذى يدفعه أهله دفعا إلى الساوك المنحرف ، أو الطفل الذى يقع في حبال القواد من كبار المجرمين فيضطرونه إلى تنفيذ جرائمهم ، أو الفتاة التى تجبرها الظروف إلى مسلك الدعارة قهراً ، أو الطفل الذى ينحرف بسبب الصعوبة السيئة . . وغير ذلك من الحالات التى يكون الحدث فيها غير متأثر بدوافع ذاتية متأصلة في نفسه بحيث يندفع بإرادته لارتكاب الذنوب .

وفى هذه الحالات يكون من اليسير علاج الحدث وتطهيره من الذنوب بمجرد إبعاده عن هذه المؤثرات .

ثالثا : الذنوب التى يردبها الطفل على مؤثرات البيئة Reaction Delinquencies :

وفىها تكون آثار عوامل البيئة أكثر تعمقا في نفسية الحدث ، ويكون سلوكه الإجرامى بمثابة الرد أو الاحتجاج على هذه المؤثرات بطريقة شعورية أو غير شعورية . ومن أمثلة ذلك الذنوب التى ترجع إلى ما يلقاه الطفل فى صغره من قسوة فى المعاملة تجعله يشب تأثرا ساخطا على الحياة ميالا للانتقام من البيئة ، كحالات الحرمان من العطف التى تنتج من التفكك والاضطراب العائلى ، ومن ذلك أيضا الذنوب التى تترتب على الفشل فى الحياة المدرسية أو عدم الانسجام فى الحياة العائلية وما قد يوجد فيها من مسببات الغيرة الشديدة والعدا وحب الانتقام . وترجع كثير من حالات الجرائم الجنسية والسرقه إلى هذا النوع من العوامل .

واملاج هذه الحالات ينمى البحث في القوى العاملة في العلاقات العائلية وغيرها من عوامل تربية الطفل في نشأته الأولى ، ومعرفة مركز الطفل في الأسرة ونوع المعاملة التي شب عليها الطفل من تدليل أو حرمان أو غيرهما . وقد دلت مثل هذه الدراسات على أن الطفل الأكبر هو أكثر الأخوة تعرضا للانحراف وذلك لتعرضه أكثر من إخوته لسبب التربية كالتدليل وعدم الاعتماد على النفس وعدم المثابرة وغير ذلك .

رابعا : الذنوب التي ترجع إلى المرض النفسي Psychoneurotic Delinquencies

وقد تكون عوامل البيئة قوية التأثير لدرجة تحدث معها حالات المرض النفسي التي يندفع الحدث بسببها إلى الإجرام من غير أن يدرك الباعث الحقيقي لسلوكه ، وهذه الذنوب يمكن تفسيرها على أساس التعبير عن المخاوف أو الرغبات النفسية المكبوتة في صورة تصرف شاذ من الناحية الاجتماعية ، ومن أمثلتها بعض حالات الجرائم التي يكون طابعها الشذوذ الجنسي ، وحالات السرقة القهرية التي تسمى Kleptomania التي ترمز إلى انتزاع الحب والحصول على العطف في صورة الشيء المسروق ، وجرائم إشعال الحريق التي ترمز أحيانا إلى الثورة ضد السكبت الجنسي ، وغير ذلك من الجرائم التي تعبر بطريقة رمزية عن العقد النفسية بطريقة لاشعورية . . والتي تحتاج في علاجها إلى التحليل النفسي وتعديل البيئة بما يؤدي إلى إعادة انسجام عناصر الشخصية الشعورية والاشعورية .

وتتميز هذه الذنوب بتورط الشخص في ارتكابها بسبب عوامل نفسية مكبوتة لا يشعر بها وقت ارتكاب الذنب ، ولكنه ينتحل الأعذار بطريقة يبرر بها موقفه Rationalisation فيذكر أسبابا شعورية لا تكون الباعث الحقيقي للانحراف .

ويؤكد علماء التحليل النفسي أهمية هذه الدوافع وينسبونها إلى اضطراب الجهاز النفسي وما يعترى مكوناته من ضروب الصراع Conflict ، وطفيان القوى اللاشعورية على الذات الشعورية ، وما يتبع ذلك من وطأة الشعور بالإثم Sense of Guilt والميول العدوانية التي تتخذ صورة الرغبة في التعذيب Sadism كما في بعض جرائم القتل .

ولمهم أن هذه الآثار النفسية اللاشعورية يرجعها علماء التحليل النفسي إلى التربية وعوامل البيئة التي نشأ فيها الحدث منذ الصغر ، وبالأخص علاقة الطفل بأبويه وما يتبعها من حالات الصراع الأوديبى Oedipus Conflict ، واضطراب نمو الذات العليا Super-Ego وتفكك روابطها بسبب ما قد يتعرض له الطفل من أساليب العقاب وتضارب المعاملة وعدم انسجام العلاقات العائلية والاجتماعية .

العوامل العضوية Organic

كان لمبروزو Lombroso عالم الفسيولوجيا الإيطالى أول من وجه النظر إلى ضرورة دراسة المجرم بعد أن كان الاهتمام متجها لدراسة الجريمة ، ولكنه كان يعتقد أن المجرم شخص يمكن تمييزه بصفات جسمية خاصة تبدو في طابع تكوينه البدائى الذى يمكن معرفته من قسما ت الوجه أو مظاهر الشذوذ والعيوب العضوية التى يولد بها الشخص كالصرع والجنون . ولكن من الثابت كما سبق أن أشرنا أن الإجرام ينتج من تضافر جملة عوامل أغلبها من مؤثرات البيئة وليس من الضرورى أن تكون له أية علامات أو مصاحبات جسمية ؛ غير أن هناك بعض الحالات التى نجد فيها أثر العوامل التكوينية Constitutional المتصلة بالنواحي العضوية واضحا بحيث تعتبر دوافع رئيسية

للانحراف وتكون عوامل البيئة ثانوية بالنسبة لها . ومن أمثلة ذلك ما يأتي : —

أولا : الذنوب التي ترجع إلى عاهات الحس والحركة :

فكثيرا ما تكون العاهة سببا لشقاء صاحبها وشعوره بعدم التكافؤ الاجتماعي والإحساس بالظلم وعدم القدرة على المنافسة والشعور بالنقص . . . مما يدفع به إلى السلوك الإجرامي تعويضا عن شعوره بالنقص أو انتقاما من البيئة ، كما أن بعض ذوى العاهات يضطرون أحيانا إلى استجلاب الرحمة والشفقة عليهم عندما تشتد حاجتهم ويعوزهم الكسب فينحرفون إلى الاستجداء والتسول والتشرد .

ثانيا : الذنوب التي ترجع لسوء الحالة الصحية :

فكثيرا ما تكون الأمراض الجسمية ونقص التغذية سببا مباشرا للانحراف ، ومن أمثلة ذلك حالة الحدث المنتشرد الذي كان لا يكاد يستطيع أن يستقر في أي عمل يلتحق به ، وتبين من الكشف الطبي عليه أنه مصاب بالقراع ، وأن خجله من علته هذه ومن تعيير الناس له بها ، كان السبب في تشرده وجنوحه فلما عولج وشفى انتظم في عمله . وحالة أخرى لخادمة صغيرة كانت تسرق الأطعمة من بيوت الجيران ، وظهر من الكشف الطبي عليها أنها مصابة بديدان الأسكارس وهي ديدان تعيش في الأمعاء وتشارك صاحبها طعامه ولا تترك له منه إلا النذر اليسير ، فالطفلة لم تكن في هذه الحالة مجرمة تسرق ولكنها كانت جائعة تريد الأكل ، ولما عولجت من علتها صلحت حالها .

ثالثا : الذنوب التي ترجع إلى اضطرابات الغدد الصماء Endocrine Glands:

ومن أبرز حالاتها اضطراب إفرازات الغدد التناسلية الذي يتسبب عنه كثير من ضروب الانحرافات الجنسية ، والمثل على ذلك حدوث البلوغ مبكرا وقيل الأوان ، الأمر الذي يدفع بالحدث إلى إشباع الميل الجنسي بطرق غير مشروعة ، حيث لا يكون نموه العقلي قد وصل إلى الدرجة التي تمكنه من السيطرة على تصرفاته الغريزية والتوفيق بينها وبين التقاليد والقوانين الاجتماعية .

وكثيرا ما يؤدي عدم انتظام إفرازات الغدد الأخرى كالفدة فوق الكلوية والغدة الدرقية ، إلى سرعة الغضب وحدة الطبع ، مما يعرض الشخص للانحرافات العدوانية . . .

رابعا : الذنوب التي ترجع لأمراض عقلية عضوية Organic Psychoses :

ومن أمثلتها الواضحة حالات الذنوب التي يرتكبها أصحابها تحت تأثير المواد المخدرة والمشروبات الكحولية التي تجعل الشخص في حالة لا يستطيع معها التحكم في تصرفاته وأعماله . وهناك حالات من الجنون يكون سببها إصابات مباشرة في المخ تجعل الشخص في حالة غير عادية ، وهناك أيضا حالات الشلل الجنوني العام الذي ترجع أسبابه إلى مرض الزهري . . وفي هذه الحالات وأمثالها يقوم الشخص بارتكاب جرائم عدوانية مختلفة تجعل من الضروري عزله عن المجتمع لمعالجه في المستشفيات الخاصة . هذا ويمكن أن نضيف هنا حالات الإصابة بنوبات الصرع Epileptic Fits حيث يكون الشخص في أثناء هذه النوبات في حالة يفقد فيها شعوره وذاكرته بحيث يرتكب بعض الذنوب أحيانا من غير وعي أو إدراك .

ويلاحظ أن بعض حالات الصرع لا تكون واضحة بحيث تختلط مع حالات السلوك السيكوباتي وغيرها ، ولكن من الممكن تمييزها الآن بدقة بجهاز الموجات الكهربية للمخ الذي يسمى Electroencephalogram

عوامل القدرات العقلية المعرفية

إن نقص القدرات العقلية المعرفية الفطرية منها أو المكتسبة يجعل الشخص أقل إدراكا وتمييزا للسلوك السوي والشاذ ، إذ يؤدي قصوره العقلي أو جهله إلى مخالفة القانون من غير تبصر وبدون أن يشعر بالندم على ما يقترفه من الذنوب ، ويمكن تلخيص أنواع الذنوب التي ترجع إلى هذا النوع من العوامل إلى ما يأتي : —

أولا : الذنوب التي ترجع إلى الغباء والضعف العقلي :

يعتقد الباحثون في علاقة النقص العقلي بالإجرام أمثال جودارد Goddard وهيلي Healy أن الضعف العقلي هو أكبر عامل وحيد يسبب الانحراف ، بحيث لا يحتاج لعوامل أخرى بجانبه ، لأن الضعف العقلي في ذاته يعتبر مصدرا كافيا للاستعداد للسلوك الإجرامي . فهو إذن أقوى العوامل التكوينية البيولوجية التي تسبب نسبة كبيرة من ذنوب الأحداث .

وقد كانت البحوث الأولى تدل على أن نسبة ضعاف العقول بين المجرمين من نزلاء السجون والإصلاحيات تصل إلى أكثر من ٦٠٪ ولكن هذا كان مبالغاً فيه نتيجة أخطاء قياسية وإحصائية ، خصوصا وأن من المعروف أن هناك من المجرمين والأحداث المذنبين كثيرين خارج الإصلاحيات والسجون ممن يساعدهم ذكؤهم العالي على الإفلات من أيدي العدالة .

وقد دلت بحوث بيرت Burt في إنجلترا وهيلي Healy في أمريكا على أن بين نزلاء الإصلاحيات للأحداث المذنبين ما يقرب من ٨٪ من ضعاف العقول ، وأكثر من ٢٨٪ من الأغبياء ، ويقابل ذلك ١٪ فقط و ١٠٪ على التوالي ، بين أفراد المجتمع العام .

وقد قام المؤلف بقياس ذكاء عدد يقرب من ٣٠٠ طفل من نزلاء إصلاحية الأحداث بالمرج ، فوجد أن ٧٥٪ منهم تقريبا نسبة ذكائهم أقل من ١٠٠ وأن نسبة ضعاف العقول بينهم تقرب من ٢٠٪ ؛ كما قام مكتب الخدمة الاجتماعية للأحداث بالقاهرة بقياس ذكاء ٤١٨ طفلا من الأحداث المحولين إليه ، فكان منهم ٢١٪ من ضعاف العقول و ٢٥٪ من الأغبياء ، بينما كان منهم ٥٥٪ فقط من طبقة ذكاء فوق المتوسط و ١٥٪ من طبقة ذكى جدا .

وتتميز ذنوب ضعاف العقول والأغبياء بعدم حبك خطتها وسهولة ضبطها والاستدلال عليها كحالات السكر والإدمان ، والسرققة البسيطة ، والجرائم الجنسية كالدعارة ، والجرائم الوحشية والهمجية كالقتل بطريقة ظاهرة وإشعال الحريق . . وغير ذلك .

كما تسكثر جرائمهم التي يسخرهم فيها الأذكىاء من رؤساء العصابات لترويج تجارة المخدرات واستخدام الخادمت في كشف أسرار مواطن السرقات في البيوت وجرائم الخطف . . وبالطبع لا يكسب ضعاف العقول من هذه الغنائم سوى دريهمات قليلة . أما النصيب الأكبر فللعصابات ورؤسائها .

ثانيا : ذنوب الأذكىاء :

غير أن الإجرام ليس مرتبطا دائما بالغباء أو الضعف العقلي ، فأقصى أنواع الجرائم يقوم بها في الغالب أشخاص متفوقون في الذكاء ، وإن كانوا يستعينون

في تنفيذها أحيانا بمن هم أقل ذكاء ، وتتميز جرائم الأذكياء بإتقان رسم خططها وخطورتها . ومن أمثلتها الجرائم الانتقامية كالقتل والإتلاف وجرائم التزوير والنصب والاحتيال وتدمير المؤامرات . .

على أن التفوق في الذكاء ليس في ذاته سببا للانحراف ، وإنما ينحرف الشخص الذكي عن السلوك السوى إذا وجد نفسه في بيئة لا تقدر ذكاه ولا تهيب له الفرصة لاستغلاله بطريقة ملائمة ، كحالة الصبي الذي ضبط متلبسا بسرقة عدد كبير من طوابع البريد ، وتبين أن والديه كانا غير قادرين على تربيته لأنهما كانا أقل منه في الذكاء بكثير ، حيث كان يجادلها ويخالفهما في الرأي وينتصر عليهما في المناقشات ، ولمعجز والديه عن متابعة تعليمه اضطر الصبي للاتحاق بعمل لا يتناسب مع ذكائه مع أحد رجال الأعمال ، وظل أميناً في هذا العمل مدة ، ثم طالب بتحسين أجره فلم يجب إلى طلبه وكان جزاؤه القليل ، فبدأ ينحرف إلى السرقة والاتجار في مسروقاته إلى أن ضبط متلبسا بجريمته . ولكن من حسن الحظ أنه وجد من يوجهه إلى عمل آخر يستطيع مع قيامه به أن يتابع الدراسة المسائية في أحد المعاهد إلى أن أصبح مؤهلاً للاتحاق بوظيفة تناسب مع ذكائه فأصبح ناجحاً في حياته .

ثالثاً : الذنوب التي ترجع إلى الجهل ونقص التعليم :

إن الجهل ونقص التعليم الثقافي أو المهني بالنسبة للتشرد والإجرام كالجرائم الفتاكة بالنسبة للأمراض ، فكما زادت وكثرت عم الوباء . ولهذا تكثر الذنوب والانحرافات في الجهات التي يفتشر فيها الجهل وتتفشى فيها المعتقدات الخرافية ومظاهر السلوك البدائي ، فأفراد بعض القبائل العشائرية يعتبرون الغزو والسلب مظهراً من مظاهر الشجاعة ، والأخذ بالتأثر عنوان الكرامة

والعزة ، ولا يعتبرون للعقل قيمة عندكم إلا عندما يصبح قادرا على القدر وحمل السلاح والسرقة بحيث يعد من يعتمد عليهم في الذود عن القبيلة وتحصينها . وكثيرا ما يؤدي النشل المدرسي ونقص التعليم إلى التعويض عن النقص بالانحراف إلى الاشتراك في الثورات وأعمال التخريب والاندماج في العصابات الإجرامية .

كما أن البطالة التي تنتج من عدم توجيه الأفراد إلى المهن المناسبة لاستعداداتهم الخاصة ، أو عدم تعليمهم بما يكفي لإتقان عمل معين بحيث يشعرون أثناء القيام به بالرضى النفسى ، قد تكون من أهم العوامل في دفع الأفراد إلى الانحراف وارتكاب الذنوب . ولهذا كان التعليم بأنواعه من أهم الأسلحة ضد انتشار الإجرام والتشرد .

العوامل الانفعالية والمزاجية

يختلف الأفراد فيما بينهم من حيث الطاقة الانفعالية والطابع المزاجى ، ومن الممكن أن نلمس هذا الاختلاف في طوائف الأحداث المذنبين حيث يمكن أن نثبني حالة الشخص المزاجية والانفعالية من نوع الذنوب التي يرتكبها إذ أن الانحراف ما هو إلا مظهر من مظاهر السلوك الذي يعبر عن أسلوب الشخص وطابعه المزاجى .

الذنوب التي ترجع لاضطراب الطاقة الانفعالية العامة :

وهذه يتميز أصحابها بالشذوذ من حيث قوة الطاقة الانفعالية وعنفها بحيث يصعب كبح جماحها ؛ أو ضعفها لدرجة الخمول والبرود الانفعالى والبلادة المزاجية Temperamental Apathy ، أو من حيث عدم الاستقرار أو الثبات الانفعالى Emotional Instability . . . الخ .

وقد قام هيلي Healy بدراسة إحصائية لمجموعتين من الأطفال كل منهما مكونة من ١٠٥ أطفال ، إحداهما من الأحداث المنحرفين ، والثانية من العاديين المقارنة Control Group ، فوجد أن أفراد المجموعة الأولى تكثر بينهم صفات اضطراب الطاقة المزاجية مثل النشاط الزائد عن الحد Hyperactivity ، والميل للتجمع والاختلاط ، والميل إلى إظهار القوة والسيطرة واستعمال العنف ، كما تكثر بينهم مظاهر الشعور بالنقص . . . بينما تقل بينهم صفات الهدوء والاستقرار ، وحسب العزلة والمسالمية ، أى إن معظم حالات الأطفال المنحرفين ممن تنطبق عليهم صفات الظاهريين Extroverts المعروفة في تقسيم يونج Jung بينما تقل بينهم حالات الباطنيين أو المنطويين Introverts .

هذا ويمكن تقسيم الأحداث المنحرفين من حيث الصفات المزاجية إلى طائفتين رئيسيتين : الأولى تضم مدبري الجرائم وأفراد عصابات السطو والسرقية والاعتداء بالقتل وغيره ، وهؤلاء تقلب عندهم النزعة إلى السيطرة واستعمال العنف والقوة . والثانية تضم المتسكعين والمتشردين والمتسولين ، وضحايا الاعتداء الجنسي . . . وغيرهم ممن تقلب عليهم دوافع الخنوع والاستكانة والاستسلام .

الذنوب ودوافعها الغريزية الخاصة :

وليس أدل على أهمية النواحي الانفعالية في الانحراف من أن من الممكن إرجاع جميع ذنوب الأحداث إلى أساس مبنى على الدوافع الانفعالية الغريزية الفطرية التي تعتبر منابع الطاقة النفسية ، مهما تعددت المظاهر والصور التي تعبر بها عن نفسها . ولهذا نجد أن نسبة حدوث الأنواع المختلفة للذنوب بين البنين والبنات تتمشي مع الفروق الجنسية في النزعات والدوافع الغريزية الأصلية .

فمثلا يتعرض الإناث أكثر من الذكور للانحرافات الجنسية بنسبة الضعف تقريبا ، وطبيعى أن تكون معظم ذنوب الأولاد فى هذه الناحية من النوع الطوائى ، بينما تكون ذنوب الإناث من النوع الذى يتميز بالاستسلام كالعارة والبهاء .

أما الذنوب المبنية على الغضب والعدوان كالضرب والقتل والقسوة على الحيوان أو الأطفال ، والتعبير عن الغضب بإتلاف ممتلكات الغير بالتدمير والتخريب وإشعال النار . . . وغيرها ، فتكثر بين البنين أكثر من البنات . وتغلب فى البنين أيضا الذنوب المبنية على حب التملك ، وأهمها حالات السرقة التى تكون أكثر نسبة فى ذنوب الأحداث ، وما يتبعها من الالتجاء إلى اقتحام الشبكات العامة وتسلق الأسوار ، والسطو على المنازل والخطف والسلب والنهب . . . الخ ، وتعتبر الشجاعة والتسول من الانحرافات التى يمكن إرجاعها إلى الدافع الغريزى لحب التملك ، وإن كانت ترجع كغيرها من الذنوب إلى أنواع مختلفة من العوامل .

وأما الذنوب المتعلقة بالخوف والهرب كالمروق من السلطة الأبوية وحالات التردد والنوم بعيدا عن المنزل ، والهروب من المدرسة ، وغير ذلك مما يرجع لكراهية الحياة فى البيئة الغير الملائمة ، فتكثر بين البنين أيضا . ويمكن أن تضم لهذه الطائفة من الذنوب أيضا حالات محاولة الانتحار والتخلص من الحياة والهرب منها ، وهذه تكثر فى البنات ، وإن كانت لها أيضا دوافع أخرى مرضية ونفسية فى معظم الحالات .

وهناك نوع آخر من الذنوب التى تكثر بين البنات عن البنين وهى ذنوب الكذب وتكتم الأسرار ، وما يتبع ذلك من ضروب الغش والخداع وغيرها ، وهذه يمكن أن ترجع لأكثر من دافع غريزى واحد ولكن الدافع الأساسى فيها هو الخوف .

ويجب أن يكون مفهوماً أن أى ذنب من الذنوب قد يشترك في الدفع إلى ارتكابه أكثر من عامل انفعالي واحد ، فالسرقة قد يكون الدافع لها إشباع الجوع وحب التملك أو الرغبة في الانتقام نتيجة الغضب وهكذا .
الذنوب ودوافعها المزاجية المكتسبة :

وأهمها عدم إشباع الميول Interests ، وعدم انسجام الحياة العاطفية ، والصراع النفسى الناتج من اضطرابات الحياة النفسية اللاشعورية ، نتيجة فساد عوامل التربية في البيئة المحيطة بالطفل ، مما سبق أن فضلناه في استعراضنا لأثر عوامل البيئة في ذنوب الأحداث . ويمكن أن تصل هذه العوامل إلى درجة من القوة بحيث تؤدي إلى اضطراب الشخصية وانهيائها ، كما في الذنوب التي يرتكبها المصابون بالأمراض النفسية كالهستيريا ، والأمراض الذهانية كالبارانويا والجنون الدوري .

إصلاح الأحداث المنحرفين

تبين مما سبق أن واجبنا إزاء الأحداث المنحرفين أعمق من مجرد محادثتهم وإيادعهم الإصلاحيات ، إذ أن المسؤولية في معظم الحالات تمتد إلى الآباء وإلى المجتمع ذاته ، كما اتضح من تحليلنا للأسباب أن المشكلة نفسية قبل كل شيء ، ولا بد أن تعالج في ضوء الإفادة من تعاليم علم النفس وبحوثه .
ويمكن أن يتناول الإصلاح النواحي الآتية : —

أولا : النواحي الوقائية :

ويقصد بها الوسائل التي تؤدي إلى توفير السعادة والأمن والصحة لأطفالنا ، وشعورهم بالارتياح في علاقاتهم بأبائهم وأندادهم وكل من يتعاملون معهم . سواء أكان ذلك في حياتهم المنزلية أم المدرسية أم في المجتمع العام .

(أ) أما من حيث الحياة المنزلية فتحسين المساكن والدخل المادي ، وتقوية روابط الأسرة ، والعمل على ضمان الحصانة الأخلاقية في الطفل يجب أن تكون هدف الإصلاح الاجتماعي .

وقد أنشئت مدارس خاصة للآباء والأمهات بكثير من البلدان الراقية ، يتلقون فيها معومات تمكنهم من أداء مهمتهم التربوية في محيط الأسرة بنجاح ، وترتب فيها حلقات دورية للبحث في المشكلات التربوية والعائلية التي يثيرها بعض الآباء والأمهات ، كما أنها مراكز استشارية لحل هذه المشكلات .

(ب) أما من حيث الحياة المدرسية فتعميم التعليم والعمل على علاج التأخر الدراسي ، وإنشاء مدارس خاصة لذوي العاهات وضعاف العقول ، وتنويع التعليم بما يسمح لإيجاد الفرص للملأمة لذوي الاستعدادات والميول المختلفة ؛ من شأنه أن يقلل من حالات انحراف الأحداث .

وينبغي في حالات الأحداث المنحرفين من تلاميذ المدارس أن يترك أمرهم إلى نظام مدارسهم ، وألا يحاكموا أمام المحاكم ، أو يحولوا إلى الإصلاحيات . حيث إن مدارسهم أقدر على فهم القوى الفعالة في سلوكهم ، وتستطيع بمعاونة المختصين الاجتماعيين فيها أن تدرس حالتهم دراسة واقية ، كما يمكن أن تستعين في ذلك بنصائح العيادات النفسية الملحمة بإدارات التعليم .

(ج) أما من الناحية الاجتماعية العامة فإن اهتمام رجال الأمن بواجباتهم واهتمام الحكومة بالإصلاح الاجتماعي ، والإفادة من المختصين في الخدمة الاجتماعية في النواحي التي تتطلب معونتهم ، والاهتمام برعاية الطفولة وأنديتهم وأندية الشباب وشغل أوقات فراغهم في اللعب المنظم والاهتمام بالتوجيه

والتدريب المهني ، وحماية الأحداث من التعرض للسقوط في مهاوى الرذيلة والالتجاء لدور التبهتك والاهو الرخيص . . . كل هذا من شأنه أن يقلل الفرص لانحرافات الأحداث .

وأهم من كل ذلك العناية بالتربية الدينية ، واحترام شعائر الدين وتقوية جماعته ، فالدين للأطفال والشباب بمثابة السلطة الضابطة والوازع النفسى الذى يعتبر خير موجه للسلوك .

ثانيا : النواحي التشريعية :

وأهم الخطوط الرئيسية التى يصح الاهتمام بها فى تعديل تشريعات الأحداث ما يأتى : —

(١) أن تقرب بين نظرتنا إلى الحدث المذنب والحدث المتشرد ، لأن كلا منهما سبب ونتيجة للآخر ، والدوافع واحدة فى الحالتين ، ومصير المتشرد إلى الإجرام إن عاجلا وإن آجلا ، وكثيرا ما يرتكب الحدث جرائم عدة ولكنه يتمكن من الإفلات من طائلة القانون ويقبض عليه وهو فى حالة تشرد فيحاكم متشرداً لا مجرماً ؛ والمهم أن نراعى أن العبرة ببواعث الانحراف وليست بنتائجها أو الصورة التى يظهر بها .

(٢) ينبغى أن يشمل التشريع مسؤولية الوالدين وخصوصا فى حالات تقصيرهم أو عجزهم عن تربية أولادهم ، وفى حالة تحريضهم للطفل على التسول أو دفعهم له لارتكاب الذنوب . . . ولهذا يصح أن توضع نصوص صريحة فى القانون تبيح نزع السلطة الأبوية فى مثل هذه الأحوال .

(٣) يبنى التشريع مواد القانون بتقسيم الأحداث إلى طوائف بحسب العمر الزمنى ، ولكن من الأجدر أن يؤخذ فى الاعتبار أيضا العمر العقلى

للحدث الذي يمكن معرفته بمقاييس الذكاء ، لأن هذا يرتبط بالنسوج في الإدراك والقدرة على التمييز بين الخطأ والصواب .

(٤) يجب أن ترفع كافة المقربات التأديبية عن الحدث وخصوصا أحكام الحبس والسجن ، وأن تستبدل بها توجيهات مناسبة للتربية والعلاج والإصلاح في البيئة المناسبة .

٥ — ينبغي تصميم نظام محاكم الأحداث ، وأن يكون القائمون بالعمل فيها من قضاة وخبراء ممن تخصصوا في دراسة الطفولة ومشكلاتها النفسية ، وأن يكونوا ملمين بالخدمة الاجتماعية للأحداث — على ألا يكونوا عرضة للتغيير والنقل بحيث تضمن لهم ترقياتهم في أماكنهم ، ليتقنوا عملهم في ضوء الخبرة بمشكلات البيئة .

ويجب أن ترحى دراسة قضايا الأحداث إلى بحث الدوافع النفسية للانحراف ، لا إلى مجرد إثبات التهمة أو نفيها عن الحدث .

ثالثا : النواحي العلاجية :

وهي التي تتناول الترتيبات اللازمة نحو الحدث ذاته من حيث تشخيص ظروفه أو علاج شخصيته من النواحي الطبية أو النفسية أو الخلقية ، أو تتبع حياته بمد خروجها لمعاودة الاشتراك في الحياة العادية . وينبغي مراعاة ما يأتي : —

(١) أن تنشأ عيادات نفسية تلحق بمحاكم الأحداث يوضع الحدث فيها تحت الملاحظة والدراسة مدة تكفي لرسم خطة علاجه في ضوء التقارير التي يضعها المختصون بالعيادة .

(٢) يجب الإكثار من منشآت الأحداث وإصلاحياتهم وأن تنظم إدارتها والعمل بها بحيث تكون مراكز للبحث والدراسة ، ومعاهد لتربية

الأحداث وإصلاحهم ، فيقوم بالإشراف عليها مختصون في التربية والخدمات الاجتماعية ، ولا داعي لأن يوجد بها ما يشعر بأنها نوع من أنواع السجون . ويمكن الاسترشاد في تنظيم هذه الإصلاحيات بما يوجد في هولندا وبلجيكا وغيرها من الدول المتقدمة في ميدان الإصلاح الاجتماعي ، كأن تقوم الحياة فيها على نظام الأسر House System .

(٣) ينبغي العناية بتشغيل الأحداث وتعليمهم الصناعات العملية في ضوء بحوث التوجيه المهني Vocational Guidance إذ أن خير علاج للنفس والخلق هو قضاء الوقت في عمل منتج يشعر الفرد أثناء قيامه به بالراحة النفسية .

(٤) يحسن أن يترك الحدث في وسطه العائلي وبيئته التي نشأ فيها كلما أمكن ذلك ، بحيث توضع له الوسائل الكفيلة بالإشراف على تربيته وتهذيبه بإرشاد القاضى والمختصين بالعيادة النفسية للأحداث ، مع القيام بإصلاح البيئة إذا تيسر ذلك .

(٥) يجب العناية بتوفير العمل المناسب للحدث عند خروجه من الإصلاحية بعد انتهاء مدة بقائه فيها ، ويصح أن تعاون في ذلك الجهات الخيرية والشركات الصناعية كما ينبغي الاهتمام بالدراسة التتبعية Follow up Study للحدث ، واستمرار الإشراف عليه بمعرفة الباحث الاجتماعى حتى يتم انتظام حياته في المجال الاجتماعى العادى .

مراجع الفصل السابع

- 1 . Bowlby, J. : Forty-Four Juvenile Thieves. 1946.
- 2 . Burt, C. : The Young Delinquent. 1927.
- 3 . Friedlander, K. : The Psychoanalytical Approach to Juvenile Delinquency. 1947.
- 4 . Glueck, S. & Glueck, E. : One Thousand Juvenile Delinquents. 1934.
- 5 . Hadfield, J. A. : Psychology and Mental Health. 1950.
- 6 . Healy, W. & Bronner, A. F. : New Light on Delinquency & Its Treatment. 1936.
- 7 . Merrill, M. A. : Problems of child Delinquency. 1937.
- 8 . Mullins, C. : Crime and Psychology. 1945.
- 9 . Stott, D. H. : Delinquency & Human Nature. 1950.
10. Thurston, H. W. : Concerning Juvenile Delinquency. 1942.

مراجع عربية :

- ١ — أسس الصحة النفسية : للدكتور عبد العزيز القوصي .
- ٢ — تحليل الشخصية : للدكتور محمد خليفة بركات .
- ٣ — حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية : اجتماع بيروت سنة ١٩٤٩ : محاضرة الدكتور محمد صلاح الدين بك عن الخدمات الاجتماعية للأحداث المنحرفين .